المجمع العلمي العراقي
بغداد

مجلة المجمع العلمي

القبيلةُ وسِلْمُ المُجتمعِ في الشِّعرِ الجاهليّ

الدكتور علاء جاسم جابر
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

الملخص :

شكَّلت القَبيلةُ في المجتمع الجاهليّ ؛ الركنَ الأساسيَّ فيه ، فما يحدثُ فيها يُلقي بظِلالهِ – بشكلٍ مباشر وغير مباشر – في المجتمع كلِّه ، بعدِّها الكيانَ الأبرزَ الذي ينتمي إليه أفرادُ المجتمع آنئذٍ ، كما تؤثِّرُ تقاليدُ المجتمع وأعرافهُ في نظام وحداته القبلية .

وقد رَصَدَ البحثُ ، من خلال الشعر الجاهليّ بأغراضه المختلفة ؛ أحداثَ القبيلة الدّاخلية جرّاءَ العلائق المتنوعة والتعاملات الفردية والجماعية ، وما كان من أحداث وقعتْ بين القبائل على المستويين الاجتماعيّ والشخصيّ .

وقد سُجِّلَ أثَرُ ذلك كلِّه في تَحقُّقِ السَّلام العام وتَوطيده وتَرسيخه .

المقدمة :

من المعلوم أنَّ المجتمعَ الجاهليَّ؛ مُجتمعٌ قَبَليّ، والقبيلة تشكل الأساسَ الأبرزَ لكيان المجتمع وإن كانت تتكون هي أيضا من وحدات أصغر، لكنَّ الولاءَ العامَّ يبقى للقبيلة التي تُمثِّلُ النَّسَبَ المشتركَ لأفرادها.. وهذا لا يَمنعُ إرتباطَ القبائل فيما بينها بعناصرَ مُتشابكةٍ من الصِّهرِ والحِلف والجِوار والولاء وتجمُّعاتٍ مختلفة أخرى ، فضلا عن النَّسَبِ الأعلى الذي يجمع عربَ الشَّمالِ (رَبيعةَ ومُضَرَ) بنِزارَ بن مَعدِّ بنِ عَدنانَ، وعَربَ الجَنوبِ (كَهْلانَ وحِميَرَ) بيَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحطانَ، ومِن ثَمَّ التقاءُ عَدنانَ وقَحطانَ صُعودا إلى نُوح عليه السلام [1] .

إذن القبيلةُ كانت الوحدةَ الرئيسةَ في علائق المجتمع الجاهلي، وهي مركز الثقل فيه ولها الأثر الأكبر فيما يحدث في داخلها وفي طبيعة صِلاتها بغيرها .

فقول الباري جلَّ وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [2]، يبدأ بمخاطبة الإنسانية المتولدة من آدم وحوَّاء عليهما السلام، مرورا بحكمته سبحانه في أن يتكاثر الناس فيكونوا شعوبا وقبائلا لكي يقيموا علائق اجتماعية ويتعاونوا فيما بينهم لاعمار الارض وذلك من خلال التآزر والتعاضد؛ وانتهاءً بإقرار الميزانِ الحقِّ الذي يَعدِلُ بين الناس أجمعين

---

[1] ينظر: السيرة النبوية ، ١/١-٣ .

[2] سورة الحجرات ، الآية: ١٣ .

على تفاضلهم بمدى عبادتهم وطاعتهم وقـربهم مـن الله تعـالى ربِّ العالمين .

فالقبيلةُ أساسُ كِيانِ الشُّعوب، والشَّعبُ أساسُ كِيانِ الأُمَمِ التـي تُكوِّنُ الإنسانية .

وإذا عُدنا ــ ثانيةً ــ إلى أصل الإنسانية، وهو الفرد، إذ تتولَّـد الأسرة الصغرى من تزاوج فردَين ــ ذكر وأُنثى ــ فتُثمـر أولادا ــ إخوةً وأخوات ــ وتتوسع الأسرة بزواج أولادها فتنتجُ الأسرة الأكبـر، ومنها الأرهاط والبطون والأقوام والأحياء والعشائر ، هذا مـن جهـة النسب والرحم . أما من جهة الـصِّهر والـوَلاء والجِـوار والحِلـف والتجمعات الطارئة والمستقرة ، فتتَّسِعُ دائرةُ الوحـدة الإنـسانية ــ إذا صَحَّ التعبير ــ أو المُكوِّن الاجتماعي، لكن مع المحافظة على العلائق النَّسَبيَّة الأصيلة، وإنْ كان التَّوسُّعُ الاجتماعي يـؤدِّي إلـى انـصهار الوحدات المتباينة وذوبانها بدرجات مختلفة تَبَعا للظـروف الشخـصية والجماعية وتطاول الزمن والمصالح المشتركة والرغبة فـي ذلـك ، ولاسيما عوامل الحب والصداقة والأُلفة التي تُقارب وتوحِّد شملَ هـذا التجمع حتى يغدو وحدةً واحدة متجانسة في إطار القبيلة أو القبائل .

لن يكون ثَمَّةَ بَحثٌ في تكوّن هذه التجمعات إلاَّ ما يَعرِضُ منها عَرَضا ، ولكن سيكون في مآلها ، وهي القبيلة ؛ الكيان الراسخ الـذي يُمثِّل المجتمع الجاهلي ، وتفرعاتها وتشعباتها؛ إذ كان الجاهلي ــ مـع ولائه العام لقبيلته ــ مُعتزّا بأُصوله من التقسيمات الأصغر وصولا إلى شخصيته الفردية واستقلاليتها . يمكن الإشارة ــ هنا ــ إلى "الرَّحِم" ، بصفتها الوشيجةَ القوية الواصلة بين الفردية والقبيلة أو بين الشخـصية

المستقلة وكيانِ القبيلة العام.. فمن وشائج الرحم الأُخوّةُ ، فحينما سُجِنَ عَدِيُّ بنُ زَيد العِباديّ، لم يَجدْ أقربَ من أخيه، فكتبَ إليه؛ باثًّا شُجونَهُ :

أبلـــغْ أُبَيًّـــا ؛ علـــى نأيِـــه   وَهَلْ يَنفَعُ المرءَ ، ما قَـدْ عَلِـمْ
بِـــأنَّ أخـــاكَ؛ شَقيـقَ الفُــــؤا   دِ، كُنتَ بِهِ واثِقـــا؛ ما سَلِمْ [٣]

فهذه الصِّلةُ تُحرِّكُ كلَّ نوازع الخيرِ فـي الإنـسان ؛ للعطـاء والتضحية، ولا سيما في مثلِ موقفِ عَدِيٍّ المُتأَزِّم، الذي يُناغي أُبيّـا ؛ شَقيقَ فؤاده، وكأنَّهما قلبٌ واحد، وجسدٌ واحد، وهَمٌّ واحد .. وسـلامة مُتبادَلة مشتركة . وتَتَّسِعُ الأُخوَّةُ ــ بِصلة الرَّحم ــ للحـيِّ والعـشيرة، يقول عَوف بنُ الأَحوَص:

ألاَ أبلـــغْ بَنـــي لُبَنـــى رَسُـــولا   بِعَبـــدٍ، والأُمـــورُ لهـــا دَواعِ
أُولئـــكَ إخـــوَتي، وخِيـــارُ رَهطِـــي   بِهِمْ نَهَضي؛ خَشيتُ ، أو امْتِناعي
وقَـــومٌ هُمْ أحلُّـــــوني، وحَلُّوا   مِـــنَ العَلْيا، بِمـرْتَقبٍ يَفَـاعِ [٤]

يُبلِغُهم ؛ اعتزازَه بِأُخوَّتهم، ويَشكرُ إحسانَهم واحتضَانَهم لــه.. وهكذا تفعل هذه الصِّلةُ فِعلَها الإيجابي في تَـسالم النـاس وتمـازجهم وتصافيهم.

يفخرُ زهيرُ بنُ مسعود الضَّبِّيّ، بقومه :

إنَّ بَنـــي ضَـــبَّةَ قَـــومي، فَلَـــنْ   أَشْـــرِيَهُمْ ، مـــا حَنَّـــت النِّيـــبُ
قَولُهُـــمُ بِـــــــرٌّ، وجــــاراتُهُمْ   حِجـــرٌ ، فَـلاَ هُجْرٌ ولاَ حُوبُ [٥]

---

[٣] ديوانه : ١٦٤ . [٤] أشعار العامريين الجاهليين : ٥١ .

[٥] قصائد نادرة من كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب " ١٥٦/٢ .

إذ يُعلِّلُ ارتباطَهُ الأبَدي بقومه، وتَمَسُّكَهُ بهم ؛ بزكاةِ لسانهم، وعِفَّةِ نَفْسِهِمْ، ونَقاءِ تَصَرُّفِهِمْ . وهذه مُقَوِّماتٌ ؛ تَعضُدُ صِلَةَ الرَّحِمِ، باتِّجاهِ السلام .

أمَّا عشيرةُ عَمرِو بن شَأْسٍ، فلها مَتاعٌ وأثاثٌ كثير، وهم يَشغلون رِحالهم لكثرتهم، فلهم أهميتهم وفِعلهم في المجتمع :

ولَنَا، إذَا ارْتَحَلَتْ عَشِيرَتُنَا   رَحْلٌ ، ونَحنُ لِرَحلِنَا ؛ أهْلُ (٦)

ولا قيمةَ لِكَثْرةٍ ؛ إلاَّ بأثرٍ إيجابيٍّ؛ يعود بالنفع العميم لخير المجتمع بأسره ، وهذا مَكمنُ فخرِ الشاعر. ويَحمَدُ قيسُ بنُ زهير، المحافظةَ على كَرَمِ الأصل، لدى الربيع بن زياد العَبْسيّ وإخوته؛ الكَمَلَة:

لَعمرُكَ ما أضاعَ بَنُو زِيادٍ   ذِمارَ أبيهِمُ، فيمَنْ يُضيعُ
شَرى وُدِّي ، وشُكري من بعيدٍ   لآخرِ غالبٍ ـ أبَدا ـ رَبيعُ (٧)

إنَّ الرَّحِمَ تُمثِّلُ أُسَّ العلاقة الحميمة الأصيلة، بين الأفراد والجماعات، لذا يَستحقُّ مَن يلتزمُ بها ويُعطيها حَقَّها، الإشادةَ والإكرامَ.. في المقابل فإنَّ من يُضَيِّعُها ، أو يَستَخِفُّ بها ويتجاوزُ على حُقوقِها، يجدُ من يتصدّى له بما يستحق؛ يقول الحادرةُ؛هاجيا زَبَّانَ بنَ سَيَّار:

لَعَمرُكَ لاَ أهجُو مَنُولَةَ كُلَّهَا   ولكنَّما أهجُو اللِّئامَ ، بَني عَمرِو (٨)
مَشاتِيمَ لابْنِ العَمِّ، في غيرِ كُنهِهِ   مَباشِيمَ عَنْ لَحمِ العَوارِضِ، والتَّمرِ (٩)

---

(٦) شعره : ٣٥ .

(٧) غالب: جَدُّهم المشترك، وتُعَدُّ من العائلات الكبيرة في عبس، إلى جانب بني بجاد وجروة وجذيمة وغيرهم. الشعر في حرب داحس والغبراء ٣٨٧ .

(٨) مَنولة: أمُّ مازن وشمخ؛ اللذين ينتسب إليهما الفَزاريون . بنو عمرو : رهط من بني فزارة؛ ينتسب إليه زبّان. كنهه: قدْرُه . البَشَم: التخمة؛ تجاوز الاعتدال

منولةُ؛ امرأةُ فزارة، التي تجمعُ الشاعرَ والمَهجُوَّ؛ لكنه يخُصُّ رَهطَ زَبَّان بهذه المواجهة الحامية، والسبب هو ذَميمُ أعمالهم ، ولاسيما بحقِّ قرابتهم . فقد وصفهم باللُّؤم، لشتمهم أبناءَ عمومتهم، من غير أن يكون ــ هناك ــ أمرٌ من أولئكم بلَغَ أن يصدر ــ فيه ــ ما صدر من هؤلاء. وفوق ذلك ــ أو بسببه ــ هم أنانيُّون ــ مع بُخلهم ــ فهم مصابون بالتُّخمة بأكلهم رديء الطعام . ولا يُظَنُّ أنَّ مِثْلَ هذه المعارضة ــ وإن عَنُفتْ ــ تُشكِّلُ نَخرا بِجَسَد القبيلة أو مَساسا بوحدة كيانها أو تماسكها ، بل هو بمثابة تنقية لها؛ بتشخيص ذلك الفعل المشين ورفضه، وعزل مَن يحملونه ونبذهم، كي تتعافى القبيلةُ وتصفو علائق أبنائها بالحب والطِّيب والسلام . ولذلك يُقرِّرُ مالكُ بن أبي كعب الأوسي:

ولاخَيرَ في مَولىً ، يَظَلُّ كأنَّهُ إذا ضِيمَ مَولاهُ، أكَبَّ على غُنْمِ
حَسُودٍ لِذِي القُربَى؛ كأنَّ ضُلُوعَهُ مِنَ الغِشِّ لِلأدنينَ، ضُمَّتْ علَى كَلْمِ[١٠]

إذن هذا قد أردتْهُ مصلحتُهُ الذاتية ، حتى صار يَعُدُّ نَفسَه ظافرا إذا ما أُصيبَ ذو قَرابته ــ دونه ــ وقد أحرق جَسدَهُ الحَسَدُ ، مُضمرا السُّوءَ لهم ، كأنَّهم جرحوا فؤاده أو مَزَّقوا أحشاءه. وهذا على عكس ما يُفترض في موقف المرء من ذوي رحمه ، ولكنه قد شَذَّ عن مَواطن الرحمة والصلاح. بعد ما خلا قلبُه من الخير . ولكن لا يُترَكُ أمثالُ أُولئك المنحرفين يعبثون بِقِيَم القَبيلة التي هي قيم المجتمع، بل يُشَخَّصُون ويُحاصرون ويُضَيَّقُ عليهم ، لِتُسَدَّدَ إليهم سِهامُ الحقِّ من

في الأكل. العارضة: أن تُذبح الشاة أو الناقة عن علة تعرض لها؛ من ظَلْعٍ أو كَسْرٍ ، ليست بِعليمة. ديوانه: ٣٩ .

(١٠) الأشباه والنظائر ، الخالديان : ١/١٧-١٨

رحم الأهل ومبادئهم. يقول أوسُ بن حجرٍ في ذلك ؛ بمنطق الإنصاف والتوجيه ، والنصيحة والتحذير :

يا راكبًا إمَّا عرَضْتَ ؛ فَبلِّغَنْ … يَزيدَ بنَ عَبدِ الله؛ ما أَنا قائلُ
بآيةِ أنِّي لَمْ أخُنكَ، وأنَّهُ … سِوَى الحَقِّ -مَهمَا يَنطِقُ الناسُ- باطلُ
فقَومَكَ لا تَجهَلْ علَيهِمْ، ولا تَكُنْ … لَهُمْ هَرِشًا؛ تَغتابُهُمْ، وتُقاتِلُ [11]
وما يَنْهَضُ البازِيُ؛ بغَيرِ جَناحِهِ … ولا يَحمِلُ الماشينَ؛ إلاّ الحَوامِلُ
إذا أنتَ لَمْ تُعرِضْ عَنِ الجَهلِ والخَنَا … أَصَبْتَ حَليمًا ، أو أصابَكَ جاهِلُ [12]

فهذهِ رسالةٌ حكيمةٌ تَبغي الصوابَ والرَّشادَ من أجل لَمِّ الشمل ووحدة الصف؛ بإبعاد الخيانة والتعدي والجفاء بين أبناء العمومة. وقد جاء في وصايا الإمام علي عليه السلام : ﴿ **أَكرِمْ عَشِيرَتَكَ؛ فَإنَّهُمْ جَناحُكَ الذي بِهِ تَطِيرُ ، وأَصْلُكَ الذي إليهِ تَصِيرُ** ﴾ [13] . وإلاَّ تكون قد ظلمتَ بريئًا ؛ تأنّى عليك وصبر ، أو وقعتَ فريسةً لطائشٍ نَزِقٍ ـ مثلكَ ـ لا يَرعَوي . وهذا إرشادٌ من أبي جُندَبٍ إلى أرهاطٍ من هُذَيل ، مُشفقًا عليهم من التفرق والتآكل :

أبلِغْ مَعقِلًا عَنِّي رَسُولا … مُغَلغَلَةً، ووَاثِلَةَ بنَ عَمرِو [14]
إلى أيِّ نُساقُ ، وقَدْ بَلَغْنَا … ظِماءً ، عَنْ مَسِيحَةَ ، ماءَ بِشْرِ [15]
فَإلاَّ تُقْصِروا ؛ بِالسّوقِ عَنَّا … على ما كانَ مِن قُرْبَى وصِهْرِ

---

[11] الهرش : المائق الجافي .

[12] ديوانه: ٩٩ .

[13] نهج البلاغة : ٣/٥٧ .

[14] مغلغلة : تُغَلْغَلُ إليهم حتى تأتِيَهُم وتَخلُصَ إليهم .

[15] ظماء : عطاش . مسيحة وبشر : بلدتان . يقول: خرجنا عن مسيحة فبلغنا ماء بشر .

تُلاقُوا مِثْـلَ مَـا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ   وَوَاثِلَةُ بنُ دُهْمَـانَ بنِ نَصْـرِ [16]

يُريد إيقاف العدوان الداخلي ـ إذا صحَّ التعبير ـ لئلا يتفاقمَ الوضع ، مُراعاةً لحقٍّ القرابة من قبل النسب ومن قِبَل الأحماء والأختان . فإلى أينَ يُريدون بهم ؟ وحتى متى يُصرون على تَعَنُّتهم ؟ فقد دفعوهم عن ديارهم ومياههم ؛ وهذا ظلم ، إذا لم يرجعوا عنه ، سَيَحُلُّ بهم ظُلمٌ مِثْلُهُ بِحُكم سُنَّة الله تعالى، وعدله. فإنَّ من يَظلمْ مُحسنا تُعاجِلْ عُقوبتُه في الدنيا ، والرُّحمُ أولى بالإحسان . وهناك حوادثُ سبقتْ فيها دروسُ وعِبر ، فهلاَّ اتَّعظَ بها هؤلاء ؟ .وفيما يُشبه ذلك ، يحكي أبو شهاب المازنيُّ ـ بألمٍ ـ جُحُودا من بني كاهل ، بعد إحسان:

فَـذلكَ إذْ نـالَ ابْـنَ صِـرمَةَ مَنُّنَـا   بِنُعمى، فَلَوَ انَّ ابْنَ صِـرْمَةَ شَـاكِرُ
رَدَدْنَـا عَلَيْـهِ بِكْـرَهُ وَتِـلادَهُ   وَعِرْسَكَ مِنهُمْ،وَهيَ شَمطاءُ حاسِرٌ[17]
فَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا الحَقَّ ؛ لَـمْ يَـزَلْ   لَهُمْ مَعقِـلٌ مِنَّـا عَزِيـزٌ ، ونَاصِـرُ
بَنِي عَمِّنَا لَوْ شِئْتُمُ ؛ لَمْ تُكَـدِّرُوا   بِشاهِدِنَا ، والكُفرُ ـ لِلمَرْءِ ـ واتِرٌ[18]

فقد حَدَثَ نزاعٌ بين ابن صِرمةَ الكاهليّ وبين المازنيين ، ولكنَّ الأخيرينَ رَدُّوا ما أخذوا من أبناء عمومتهم ، امتثالا لحقٍّ الرحم ، أمَّا أولئك فقد أنكروا ذلك الحقَّ وتَخلَوا عن حرز هُذَيل التي تجمعهم ، ومع ذلك ما يَزال يُناشدهُم القُربى ويأمُلُ منهم الصفاءَ والخير .

---

(16) شرح أشعار الهذليين : ١/٣٦٩ .

(17) بكره: أولُ ولَده. تلاده: ماله العتيق. عرسه: امرأته . حاسر: ليس عليها قناع .

(18) بشاهدنا: بهذا الذي وصَفَ وعَدَّ. الكفر للمرء واتر: إذا جَحَدَ النِّعمةَ؛ فقد وتَرها، لأنَّ صاحبَ النِّعمةِ يطلبُ الشُّكرَ.
شرح أشعار الهذليين ، ٢/٦٩٧ ـ ٦٩٨ .

وقد بكى عَبدُ مَنافِ بنِ ربعِ الجُرَبيّ ، الرَّحِمَ في رثاء دُبَيَّة السُّلَميّ بسبب أُمّهُ الهُذَليَّة :

فَعَيني ألا فَابْكي دُبَيَّةَ ؛ إنَّهُ وَصُولٌ لأرحامٍ ، ومِعطاءُ سائلِ
فَوَاللهِ ؛ لَوْ أدْرَكتُهُ لَمَنَّعْتُهُ وإنْ كانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقالا لِقائلِ [١٩]

إذ لم يَمنعْهُ الفُتورُ الذي رانَ على علاقته بالقتيل من التّأثّر الشّديد لفقده ، والاعتراف بصفاته الكريمة ولا سيما صلةُ الرحم وتلبيةُ حقوق السائلين ، وقد بذل وسعَهُ للحفاظ على حياته، ولكن سبق السيفُ العذل. أما شحنةُ السِّلم هذه فلما تزلْ وقّادةً داخل القبيلة ــ وكل قبيلة ــ تُحرّكُ أبناءها باتجاه التواصل الوُدّي والتلاقي الأخوي، وإنْ لم تكنْ مُعلَنةً دائما. وفي قبيلة بكر، تُنكَرُ أخطاءٌ ، يقولُ طرفةُ بنُ العبد ، مُؤنِّبا عَبدَ عَمرِو بنِ بشرِ بنِ مَرْثَد في نَميمة نمَّها عليه : (من الطويل)

ألا أبْلِغَا عَبدَ الضَّلالِ؛ رِسالةً وقد يُبلِغُ الأنباءَ ــ عَنكَ ــ رَسُولُ
دَبَبْتَ بِسِرِّي ، بَعدَمَا قَدْ عَلِمْتَهُ وأنتَ بأسرارِ الكِرامِ ؛ نَسُولُ [٢٠]
وكيفَ تَضِلُّ القَصدَ، والحَقُّ واضِحٌ وللحَقِّ بَينَ الصَّالِحينَ ؛ سَبيلُ
وفَرَّقَ عَنْ بَيتَيكَ؛ سَعدَ بنَ مالكٍ وعَوفا، وعَمرا؛ ما تَشي ، وتَقولُ [٢١]

كان طرفةُ قد ذكرَ عبدَ عمرو ــ في شعره ــ بِشيء كرهه، فحمله ذلك على أن وشى به إلى عمرو بن هند ــ الملك ــ وأنشدَهُ هَجوَ طَرَفَةَ فيه ، فلامَهُ طرفةُ على ذلك ، ونسبَهُ إلى الضلال لذلك ، فقد مشى سريعا بِسِرِّه ــ بعدما علمه ــ إلى الملك . ويَزيدُ في توبيخه مخاطبا إياه : كيف تَتيهُ عن الصواب، والحقُّ بَيِّنٌ واضح لمن أراده ،

---

(١٩) م . ن . ٢/ ٦٨٦ .

(٢٠) النسول : السريع المشي .

(٢١) تقول ؛ من النّمائم / ديوانه :٨٢.

وللحقِّ سبيلٌ مسلوكةٌ بين الصالحين ، فهلاَّ سلكتَها ، ولمْ تَعدلْ عن قصدها؟ وفي ذلك تلميحٌ إلى أنه لم يكن من الصالحين. فقد دقَّ ــ بفعله المَشين ــ إسفينَ الشِّقاق ؛ بين سعد بن مالك وعوف بن مالك ؛ من بني قيس بن ثعلبة ، ومنهم عبدُ عمرو وطرفة . وهما بيتاه لأنَّهم أهلُه من جهتَي أبيه وأُمِّه اللذان ينتسبان إلى بكر .ويتوسَّعُ منطِقُهُ ــ بالحِكمة ــ مُوَضِّحا ــ لابنِ عمِّه ــ عَواقبَ الأمُور.

وأعلمُ علْما ؛ لَيسَ بِالظَّنِّ ، إنَّهُ إذا ذَلَّ مَولى المَرءِ ؛ فَهْوَ ذَليلُ
وإنَّ لِسانَ المَرْءِ ــ ما لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصاةٌ ــ على عَوراتِهِ ؛ لَدَليلُ
وإنَّ امرَأً، لَمْ يَعْفُ- يوما- فُكاهَةً لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِها ، لجَهولُ [٢٢]

إذ يَعزُّ الرجلُ بابن عمِّه، ويقوى ، أمَّا إذا ذلَّ ابن عمِّه، فيَضعفُ هو ويَذِلّ . ولِسانُ المرءِ ــ إذا لم يكن له عقلٌ يُرشدُه ، ويَرُدُّه عن القبيح ــ يكون دليلا على عوراته هو ، ومَن لم يَعفُ عن شيء مُوزحٍ به ، ولم يُقصَد به إلى ما يَسُوؤه ؛ فهو جَهولٌ ضعيفُ التمييز. فَهَلا اتَّعظَ ابنُ العَمِّ؛ صونا لوحدة القبيلة وسلامتها . ؟ ويؤكِّدُ طَرفةُ ــ أخيرا ــ مَوقفهُ الإيجَابي في مُحاماته عن الأقارب ومُداراتهم بالحلم والحُسنى، وعَفوه عن زَلَلِهِمْ مع قُدرتِهِ على الاقتصاص منهم، إلاَّ أنَّ قلبَهُ طاهرٌ من الأحقاد، شفيقٌ بهم :

وأستَنقذُ المَولى ، مِنَ الأمرِ بَعدَمَا يَزِلُّ ، كما زَلَّ البَعيرُ عَنِ الدَّحْض
ويَغمُرُهُ حِلمي ، ولَوْ شِئتُ نَالَهُ عَواقِبُ تَبري اللَّحمَ ؛ مِن كَلِمٍ مَضٍّ [٢٣]

وهكذا كانتْ شَهامةُ العربيّ تسبقُ غضبَهُ في سياسة القبيلة وحركته الداخلية ، فهو مُستعدٌ للتَّغاضي، أو حتى التنازل عن حقوقه

---

[٢٢] فكاهةً ؛ عن فُكاهة : مُزاح . ديوانه ، ص ٨٢-٨٥ .

[٢٣] م . ن ، ص ١٦٨ .

ومصالحه في مقابل المصلحة الأكبر والأهم . يقول : — في هذا السياق — شاعرٌ كبير آخر من بكر ؛ هو الأعشى :

وإنّي لتَرّاكُ الضَّغينةِ ، قد أرى قَذاهَا منَ المَولى، فَلاَ أستَثيرُهَا [24]

مفتخرا بأنَّهُ يَطرحُ جانبا ما قد يَراه عياناً من آثار التَّكارُه المَقيت ؛ بين الأهل بسبب الخلافات التي قد تعترض مسيرةَ القبيلة ، فلا يَهيجُها بل يَسترُها ويَرغبُ عنها ؛ تكرُّما وكرامةً لقُدسيَّةِ الرَّحم الجامعة ولكنه يأسى؛ إذ جَعَلَ بَنو عَبدانَ بنِ سَعد بن قيس بن ثعلبة، أحد الشعراء ، يَهجو بني سَعدِ بن ضُبَيع — قوم الأعشى — وكِلاَ الحَيَّينِ يَنتميان الى قيس بن ثعلبة . يُعاتبهم ببيان مَوقفِ رَهطه السَّليمِ من أولئك :

لَمْ نَطَأكُمْ يَوماً بِظُلمٍ ، ولَمْ نَهْتِكْ حِجاباً ، ولَمْ نُحِلَّ حَراما

وهذا من محاسنِ السُّلوك القويم .. أَفَلا ينبغي أن يكونَ قاعدةً للعلائق الاجتماعية الرَّصينة؟ لكنهم نَكَصُوا ؛ لذا يُسائلُهُم بمَرارة :

لِمْ أمَرتُمْ عَبدا ؛ لِيَهجُوَ قَوما ظالِميهِمْ ؛ مِنْ غَيرِ جُرمٍ ، كِراما

إذن هذا الشاعر قد هَجا أكارمَ الناس ؛ بلا ذنبٍ اقترفوه ، فكان تحريضهم ؛ ظُلما وعُدوانا صارخا بلا مُسَوِّغ . أَفَيَجُوزُ لكم أنْ تُعاملونا بهذا الخُلُق ؟:

ذاكَ في جِبْلَكُمْ لَنا ، وعَلَيكُمْ نِعمَةٌ ، لَو شَكَرْتُمُ الإنعاما [25]

وإنْ كان أولئكم قد بَدؤوهم بالهجاء— مع سابق فضلهم عليهم — إلاَّ أنهم لم يُقابِلوهم بِالمِثل، بل يُحاول شاعرُهم استدراجهم بهذا المنطق

---

(24) ديوانه : ٣٧٣ .

(25) جَبَله الله جبلا : خلَقه ، وجبله على الشيء : قطره وطبعه .

ديوانه : ٢٤٧ – ٢٤٩

الهادئ الرّصين ، لإشعار المتجاوزين بخطئهم ليُعيدَهم إلى جادّة الصواب ، وبذلك يُجنّبُ العشيرةَ ما يَسُوؤها ، ويُعيدُ أفرادَها ـ جميعا ـ إلى تآزُرهم وتوادِّهم وتراحُمِهم ، لِتَستعيدَ القبيلةُ ـ بَعدُ ـ وحدتَها وهَيبتَها . وللأعشى مَوقفٌ آخرُ ، إذ يَمدح الحِلمَ في رجلٍ فاضلٍ ؛ من سادات العرب ، هو إياسُ بنُ قَبيصةَ الطائيّ [الذي كان من أعلى رؤساء القبائل ، فدُعيَ بملك عين التمر] :

فعاشَ بذلك ما ضَرَّهُ ‏ صُباةُ الحُلُومِ ، وأقوالُها [٢٦]
يَنولُ العَشيرةَ ؛ ما عِندَهُ ‏ ويَغفِرُ ؛ ما قالَ جُهّالُها [٢٧]

هو ملك عين تمر وهو اعلى رؤساء القبائل ؛ بحِلمه وتكرُّمه وكرمه وصفحه وعفوه ، وبذلك صار مُوَحِّدا لعشيرتِه ؛ بحُنُوِّه عليهم ، وصبره على سَفَهائهم ؛ فكان أهلا لِتَحمُّل أَعباء مسؤوليّتهم ولَمِّ صفوفهم ويعاتبُ أُفنونُ التَّغلبيّ قومَه بني حبيب ؛ طالبا جزاءَ الإحسانِ ؛ إحسانا:

أبلغْ حَبيبا ، وخلِّلْ في سَراتِهِمُ ‏ أنَّ الفُؤادَ انطوى منهُمْ على حَزَنِ [٢٨]
أنَّى جَزَوا عامرا ؛ سُوأى بفعلِهِمُ ‏ أمْ كيفَ يَجزُونَني السُّوأى من الحسَنِ[٢٩]
أمْ كيفَ يَنفعُ ما تُعطي العَلُوقُ به ‏ رِئمانُ أنفٍ ، إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ [٣٠]

---

[٢٦] صَبا : مالَ الى الصبوة ، وجهلة الفتوة .

[٢٧] ناله ، ونال له ، وناله بالعطية ؛ كلها سواء . الجهال ؛ من الجهل : السّفه والطيش . ديوانه:١٦٩ [٢٨] خلل : خُصّهم بالبلاغ .

[٢٩] عامر ؛ بنو عامر بن صعصعة . عدَل من الحُسنى الى الحَسن ؛ من أجل القافية .

[٣٠] الرئمان : مصدر رئمت العلوق حوارها ؛ إذا عطفت الناقة على ولدها .
شاعر فارس أفنون التغلبي :٢٠٤ . وينظر : المفضليات :٢٦٣

أولا ــ هو ــ يَعجَبُ من قومه أنْ عاملوا بني عامر ؛ بالسُّوء في مُقابل جميل فِعلهم كما جازَوه . قال المرزوقي : المراد أنَّه راجعَ قومَهُ ؛ قائلا : مالكم تُضيعون حَقَ عامرٍ وحَقِّي ، وتُجازُون الحَسَنَ بالقبيح ؟ وفِعلكُم هذا كفِعل العَلوق مع حُوارها ؛ تَعطِفُ عليه ولا تَدُرُّ بلبنها [٣١] . فالخطأ غيرُ مقبول ، إن كان في حَقِّ أبناء القبيلة ، أم كان في حَقِّ الآخرين ، والمهم ألاَّ يُترَكَ الغَيُّ سادرا ؛ إذ ﴿ **إنَّ كُلَّ ابنِ آدمَ خَطَّاءٌ ، وخَيرُ الخَطَّائينَ ؛ التَّوّابُون** ﴾[٣٢] كما جاء عن رسولنا الأكرم . وكان قد بَدَرَ من بني مُرَّةَ بنِ عَوف بن سعد بن ذُبيان ، ما يستفِزُّ الملكَ عمرَو بن الحارث الأصغر الغساني، فَسَعى النابغة الذبياني ؛ ناصحا إيَّاهم بمُلايَنته وعدم التطاول ، تَجنُّبا لِشَرِّه، لكنهم لم يَسمعوا له :

نَصَحتُ بَني عَوفٍ ، فَلَمْ يَتَقَبَّلوا ... وَصاتي ، ولَمْ تَنجحْ لَدَيهِمْ وَسائِلي
ولا أعرِفَنِّي ، بَعدَما قد نَهَيتُكُمْ ... أُجادِلُ ــ يَوما ــ في شَويٍّ وجامِلِ[٣٣]
وبِيضٍ غَريراتٍ ، تَفيضُ دُمُوعُها ... بِمُستَكْرَهٍ ، يُذْرِينَهُ بالأنامِلِ [٣٤]

---

(٣١) قال أبو العباس : والمعنى ؛ وما ينفعني ، إذا وعدْتني بلسانكَ ، ثمَّ لم تَصدُقْهُ بفعلك . يقال ذلك للذي يَبَرُّ ، ولا يكون معه نفعٌ ، كهذه الناقة التي تَشُمُّ بأنفها ، ثمَّ تُمنع دِرَّتَها . والعَلُوق: التي تعلَّقَ قلبُها بولدها ، وذلك أنَّه نُحِرَ عنها ، ثمَّ حُشي جِلدُهُ تبنا أو حشيشاً ، وجُعل بين يَديها حتى تشمُّهُ وتدرَّ عليه ، فهي تَسكُنُ إليه مرةً ، ثمَّ تَنفِرُ عنه ثانيةً ؛ إذ تأباهُ بقلبها . حتى صارَ هذا البيتُ مَثَلا لكلِّ مَن يَعِدُ بلسانه كلَّ جميل ؛ كأنَّه قيل : كيف يَنفعُني قولُكَ الجميلُ ؛ إذا كنتَ لا تَفي به ؟ ينظر : مجالس العلماء ، الزَّجَّاجيّ :٤٣ .

(٣٢) سنن الترمذي : ٤/٧٠ ، رقم الحديث ٢٦١٦ .

(٣٣) في شوي : لأجل شويّ : تصغير شاء: اسم جمع شاة. جامل: اسم جمع حمل.

(٣٤) ديوانه : ١٩٧ – ١٩٩ .

فما قيمةُ أنعامٍ يُرادُ من الشاعر أن يُفاوضَ لاسترجاعها ، بعدما وَقَعَ المحذورُ، وأوقعَ بِهِمُ الملكُ ، وفاضتْ دُموعُ الثَّكالى .. ألَمْ يكن الأجدى مُعالجة آثارِ الحرب وتَجَنُّبُهَا ؟ ويُعاتبُ الحارثُ بنُ عمرو الفَزاريّ ؛ حصنَ بنَ حُذَيفةَ ؛ والدَ زوجته أسماء :

تَدِرُّ وتَستَعوي ــ لَنَا ــ كُلَّ كاشحٍ ... ومن قَبلِهَا ، كُنَّا نُسَمِّيكَ ؛ عاصِمَا
بحَمدِ إلهي أنَّني لَمْ أكُنْ لَهُمْ ... غُرابَ شِمالٍ ــ يَنتِفُ الرِّيشَ ــ حاتِمَا
كأنَّ عليهِ ، تاجَ آلِ مُحَرِّقٍ ... بِأنْ ضُرَّ مَولاهُ ، وأصبَحَ سالِما [٣٥]

فبدلَ أنْ يكونَ له سَنَدا وعَضُدا ــ للرَّحم والصِّهر ــ صار يَطلُبُ ذَمَّهُ من كُلِّ راغب عنه وكاره . ولكنه ــ مع ذلك ــ لم يفعل بإزائه ما فعل ، فقد حافظ على سلامة خُلقه، وسلامة العلائق، وسلامة العشيرة ، وإن كان ذاك الخارقُ لكلِّ ذلك ؛ مُتبخترا بسلامة ذاته ، وإن جلبَ الضُّرَّ لقريبه، لذا يَسخرُ الشاعرُ منه، ويهزأُ بهذه الأنانية الجافية . إذ لا سلامةَ ــ حقيقيةً ــ إذا لم تَشمل الجميع. كان قِرواشُ بنُ هَنِيٍّ العَبْسيّ ، قد قتلَ حُذَيفةَ بنَ بَدرٍ الفَزاريّ ، فقتلَتْهُ فزاره ، فقام النابغةُ مُلَوِّحا بالرَّحِمِ ؛ لِقطعِ دابرِ حربٍ قد تَقع :

ضَربا بَغيضَ بنَ رَيثٍ ؛ إنَّهَا رَحِمٌ ... حُبتُمْ بِهَا ، فَأنَا ختَكُمْ بِجَعجاعِ [٣٦]
جَزّا بِجَزٍّ ، وقَتلا مِثلَ قَتلِكُمُ ... مَهلا حُمَيضَ، فلاَ يَسعى بِهَا السَّاعِي[٣٧]

---

[٣٥] الوحشيات وهو الحماسة الصغرى :٦٢ . [٣٦] بغيض : منادى محذوف منه حرف النداء، وأبناؤه: عَبس وذُبيان وأنمار . أناختكم ؛ الضمير عائد الى "رحم". جعجاع: الأرض الجدبة . [٣٧] جَزًّا بِجَزٍّ : جَزّوا نواصيكم كما جززتم نواصيهم ، وكانوا يفعلون ذلك بالأسرى ؛ أي : أسرا بأسر. حميض: منادى حذف منه حرف النداء ، وهو ترخيم حُمَيضَة بن عمرو؛ أبو بطن من فزارة . ديوانه :١٧٦ – ١٧٧ .

يلتمسُ ــ أولا ــ من عَبس ، أن يُعرضوا عــن الغَــمِّ علــى قرواش ، ويتناسَوا قتلَه ، لأنهم السَّببُ المؤدِّي إلى هذه النتيجة المُرَّة ، مُشركًا إيَّاهم بالإثم بقطع أواصر الأرحام ؛ إذ لم يمنعوه أو يأخذوا على يده ، فأدْخلَهم قَطْعُهَا بِمُناخ سَوء ؛ مُمثِّلا حالِهم في عــداوة أقربــائهم ، بِحال مَن انتقلَ من مَوضعٍ خصبٍ ، إلى أرضٍ جَدْبٍ ، أي مــن حــال السَّلام الأصيلة السَّوية إلى حال الحرب المُكدِّرة المُــدمِّرة . فليعــودوا ــ إذن ــ الى سُكنى الأرض الطيِّبة ، وحالِ السَّواء . ثمَّ يلتفــتُ الــى الفزاريين؛ فيطلبُ إليهم أن يَكفُّوا عن حرب أَرحامهم، فلا قَتلَ بعدُ ، ولا أَسرَ؛ ففي ذلك خيانةٌ بعدما أَصابوهم ، فليتأَمَّلوا ولا يَتعجَّلوا ــ بَعــدُ ــ حتى لا تَتجدَّدَ التِّراتُ بين القبيلين، فتَسعى السُّعاةُ في الدِّيات ، مُذَكِّرا ــ في ذلك ــ بِعَواقبِ القتال الوخيمة على الطَّرفَين ، فَلْيَترفَّعُوا ؛ بمنطــق العقل ولْيَتَصافَ الفريقان ، ولْيَعيشُوا إخوةً ــ كما كــانوا ــ مُتحــابِّين بأمانٍ وسلام .

كان بين الرَّبيع بنِ زياد وقَيس بنِ زُهير ؛ شَيءٌ من التنــافس على زعامة عَبْس ، وحَدَثَ أَنْ جاورَ حُذَيفةُ بنُ بَدرٍ الفَزاريُّ ؛ قيــسا ، فأَغاظَ ذلك الرَّبيعَ ، لكنَّه يُؤكِّدُ لِحُذَيفة :

بــأنِّي لَــمْ أزَلْ لَكُــمْ صَــديقا   أُدافِــعُ عــن فَــزارةَ ، كُــلَّ أَمْــرِ
أُســالِمُ سِــلمَكُمْ ، وأَرُدُّ عَــنكُمْ   فَــوارسَ أَهــلِ نَجْــرانَ وحِجْــرِ
وكان أَبي ــ ابنُ عَمِّــكُمُ ــ زِيادٌ   صَفِيَّ أَبيكُمُ ؛ بَــدْرِ بنِ عَمْرِو (٣٨)

لا شَكَّ في أَنَّهُ يُريدُ المحافظةَ على الصداقة وعلاقة الــوُدِّ مــع حذيفة ؛ إذ كان من ساداتِ فَزارةَ التي هي حَيٌّ من ذُبيان التي تنتمي مع

---

(٣٨) شعره ، ص٢٩٥ .

عبس الى غَطَفان ؛ القبيلة الأمّ . لذلك كان مدافعا عنهم ، وهو معهم في سلمهم ويُشاطِرُهم رَدَّ عُدوانِ المُعتدين عليهم ، مُذَكِّرا صاحبَهُ بأنَّ أباه كان خليلا لأبيه، وهما ابنا عَمٍّ يَنحدران من أَب واحد . وما سَرْدُ ذلك إلاَّ حرصا منه على رَأْب الصَّدع الذي قد يقع ، ولدفع أيِّ خَلَل في العلاقة، وتَوثيقِ التَّقاربِ والألفة التي كانت بينهم . ويَبعثُ عُروةُ بنُ الوَرد ، بِرسائلِ عِتابٍ وُديَّةٍ هادئةٍ حَكيمة، إلى أحياء من عَبس التي ينتسب إليها:

أيَا راكِبا ؛ إمَّا عَرَضْتَ فَبلِّغَنْ ... بَني ناشِبٍ عَنِّي ، ومَن يَتَنَشَّبُ [٣٩]
أكُلُّكُمُ مُختارُ دارٍ يَحلُّهَا ... وتارِكُ هدمٍ ، لَيسَ عَنهَا مُذَنَّبُ ؟
وأَبلِغْ بَني عَوذِ بنِ زَيدٍ رِسالةً ... بآيةِ ما إنْ يَقصِبُونيَ ؛ يَكذِبُوا [٤٠]
فإنْ شِئتُمُ ، عَنِّي نَهَيتُمْ سَفِيهكُمْ ... وقالَ لَهُ ذُو حلمِكُمْ : أينَ تَذهَبُ ؟ [٤١]

هناك أمران ـ إذن ـ الأوَّلُ هو أنَّ هجرةً جماعية حدثت في ديار بني ناشب ؛ فيلومَهُم مستنكرا ذلك: فهل يجوز أن يختارَ كُلُّ واحدٍ منهم دارا له جديدة ، ويتركَ دارَ أهله ، ومَرابعَ صِباه ؟ والأمرُ الآخَرُ أنَّ شَتيمةً باطلةً صدرتْ عن بني عَوذ ؛ فيُنبِّهَ عُقلاءَهم على ما يُفترضُ ويَليق بهم من نَهْي سُفهائهمْ عن ذلك ، إذ لا مُسَوِّغَ لها .ويجمعُ الأمرين وحدةُ القوم والعشيرة ، فالثبات على أرض الآباء والأجداد ضمانٌ لتوحُّدِهم وتَماسكهم ، كما أن مَنعَ التَّجاوزِ والتَّعدِّي ـ ولو بلفظ ـ يَكون مَدعاةً لعدم الشِّقاقِ والتَّفرُّق . وقد جاء عتابهُ هذا لِيُعيدَ الحقَّ إلى نِصابهِ والمياهَ إلى مَجاريها ، فَيَسلمَ الجميع .

---

(٣٩) ينتشب : يَدَّعي النَّسبَ الى بني ناشب . (٤٠) قصب : شتَم .
(٤١) الحلم : العقل والتَّروي . ديوانه : ٢٥ .

وفي عذل الحُطَيأَة ؛ بني بِجادَ ؛ وهم حيٌّ من عَبْس ؛ تحــذيرٌ من الاختلاف والفُرقة ،مع التّشديد على التزام الرَّحم ، ومُقابلة الإساءة بالإحسان، بل التضحية بإيثار أبناء عمومتهم في أحبِّ الأشياء وأعزّها عليهم ؛ إشفاقا من سُخطهم ، وحفاظا على مَــوَدَّتهم ، غــافرين لهــم زَلاّتِهم؛ وإن لم يفعل أولئك ذلك معهم :

بَنِــي عَمِّنَــا ؛ إنَّ الرِّكــابَ بِأهلِهَــا … إذا ساءَهَا المَوْلى تَرُوحُ وتَبْتَكِرْ [٤٢]
بَنِي عَمِّنَا ؛ ما أَسـرَعَ اللَّـومَ مِـنكُمُ … إلَينَا ، ولا نَبغِي عَلَيكُمْ ، ولا نَجُرْ [٤٣]
ونَشرَبُ رَنْقَ الماءِ ، مِن دُونِ سُـخْطِكُمْ … ولا يَستَوِي الصَّافِي مِنَ المــاءِ، والكَـدِرْ [٤٤]
أَرى قَومَنَا ؛ لا يَغفِــــرُونَ ذُنُوبَنَا … ونَحنُ ــ إذا ما أَذنَبُوا ــ لَهُمُ غُفُــرُ [٤٥]

يبدأ بتكرار عبارة "بني عمنا" مــرتين ضــامّا إليهمــا لفظــة "المولى"، خاتما وَصَفَهُم بـ"قومنا" لتأكيد وحدة الأصل والدم والــرحم . باثّا مُقابَلاتٍ واقعيةً فيما هم عليه من تسامح وتعاطف وحــرص علــى وحدة الشَّمل ، في حين كان الطرفُ الآخر على النقيض من ذلك ، لكنه يرجو أوبتَهم إليهم والاقتداءَ بفعلهم ؛ لتصفوَ الأَجواءُ ، وتتعافى القبيلة .

ومن الحوادثَ النادرة ؛ أنَّ حَيَّةَ بنتَ مالــكِ بــنِ مُــرَّة ، زوج فقعسِ بن طَريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيمة ، فمات عنها ، فَخلَفَ عليها رَواحةُ بنُ رَبيعة العبسي ، فولدتْ جُذَيمةَ – على فراشه – لثلاثة أشهر ، فطالبَ جُذَيمةُ بميراثه من أبيه فقعس ؛ فقال له عَمُّهُ ؛ أَعيا بنُ طريف : ما أَعرفكَ ولا لَكَ عندي

---

[٤٢] يقول : إذا ركبها ابنُ العمِّ بمكروه ؛ رحلتْ عنه .
[٤٣] نَجُرْ ؛ أصلها : نَجُرُّ ؛ من الجريرة ، فخفَّفَ للقافية .
[٤٤] الرَّنْق والرَّنَق : الكَدِر . [٤٥] ديوانه :١٠٦ – ١١٠ .

ميراث . فقال له : ويحكَ ، أعطني ولو بكرا ؛ أستحقُّ به النَّسَبَ ، فمنعه ، وثَبتَ جذيمة في بني عبس . يقول ابنهُ طَرَفةُ الجُذَيميّ :

يا راكبا إمَّا عَرَضتَ ؛ فبلِّغنْ بني قُعَس ، قولَ امرئ ناخلِ الصَّدْر[٤٦]
فَوَالله ؛ ما فارقْتُكمْ عَن كَشاحَةٍ ولا طيبِ نفسٍ عنكمُ ، آخرَ الدَّهر[٤٧]
ولكنَّني كُنتُ امرَا من قبيلةٍ بَغتْ ، وأتتني بالمَظالمِ ، والفَخْرِ[٤٨]

يُرسلُ بِعتابه إلى قبيلته التي لا يَنفكُّ عن الحنين إليها ، إذ تجري دماؤها في عروقه ، ولا يمكن أن تتسلل الضغينةُ أو الحقدُ إلى قلبه ؛ تجاهها ، إذ كان فراقُهُ أو ــ على وَجْهِ الدّقة ــ فراقُ أبيه إياها قَسرا واضطرارا ؛ بسبب جَور واستنكافٍ من الاعتراف بأحقيَّة نَسَبه إليهم . ومع ذلك تبقى أواصرُ النسب راسخةً ، تَنزعُ إلى تَقاربِ وشائج الرَّحم على الرَّغم من كل شيء . ومن قبيلة أسد ــ تلك ــ يَطلُعُ عَبيدُ بنُ الأَبرص؛ مُراسلا أحياءً منها ؛ مُؤكِّدا وحدةَ رَحمِهِمْ لِيَتَّحِدُوا :

أبلغْ جُذاما ولَخْما ؛ إنْ عَرَضتَ لَهُمْ والقومُ يَنفعُهُمْ علمٌ ، إذا عَلِمُوا
بأنَّكُمْ ــ في كتابِ اللهِ ــ إخوانُنا إذا تُقُسِّمَت الأرحامُ ، والنَّسَمُ[٤٩]

مُشيرا إلى المصدر الحقِّ ، في توكيد أُخوَّتهم أجمعين .

ويُخاطب خِداشُ بنُ زُهير عَشيرتين من العامريِّين ؛ مُثْنيا عليهما أولا ، وطالبا إليهما تسهيلَ أمر إسكان رهطه وعدم مزاحمته وإن تداخلت مراعيه مع مراعيهما ؛ ففي الأرض سَعَةٌ ؛ تكفي الجميع ، فَلْيَتَعاونوا لْتحلَّ رُوحُ المساعدة فيما بينهم :

---

[٤٦] ناخل الصدر : صافي القلب ، غير منافق .

[٤٧] الكشاحة : العداوة .

[٤٨] قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية ، ص١٥٧ .

[٤٩] النسم : نفس الروح ، والناس . ديوانه :١٢٠ .

فَيـا راكِبـاً إمّـا عَرَضْـتَ فَـبلِّغَنْ ... عقيلا ـ إذا لاقَيتَها ـ وأبا بَكْرِ [٥٠]
بـأنّكُمُ مِـنْ خَيـرِ قَـومٍ ، لِقَـومِكُمْ ... على أنَّ قَولا في المَجالِسِ؛ كالهُجْرِ [٥١]
دَعُوا جانِـبـا ، إنّا سنَنْزِلُ جانِبـا ... لَكُمْ واسِعا ؛ بَينَ اليَمامَةَ والقَهْرِ [٥٢]

إذ إنَّ اجتماع القبيلة وقوَّتَها ؛ خيرٌ من تبددها وضياعها ؛ فَغَضُّوا أنظاركم عن نزولنا ، في مراعيكم ؛ ولْتَدُمِ المحبَّةُ بين الأهلِ ، ويدوم السلام . ويَفخرُ مُعاويةُ بنُ مالكٍ العامريُّ ؛ بِحكمتِه ومهارتِه الفائقة في إصلاح ما فَسَدَ بين بُطونِ كعبِ بنِ رَبيعةَ بنِ عامرِ بن صَعصَعة :

رأيـتُ الصَّدعَ مِـن كَعـبٍ فَـأودى ... وكانَ الصَّدعُ لا يَعـدُ ارتِئابَـا [٥٣]
فَأمْـسى كَعْبُهـا ؛ كَعْبـا ، وكانَـتْ ... منَ الشَّنَآنِ ؛ قَدْ دُعِيَتْ كِعابَـا [٥٤]
حَمَلْـتُ حَمَالَـةَ القُرَشِـيِّ ، عَـنهُمْ ... ولا ظُلْما ، أردتُ ، ولا اختِلابَا [٥٥]
أُعَـوِّدُ مِثلَهـا الحُكَمـاءَ ، بَعـدي ... إذا ما الحَقُّ ـ في الأشياعِ ـ نابَا [٥٦]
سَـبَقْتُ بِهـا قُدامَـةَ ، أو سُـمَيرا ... ولَوْ دُعِيا إلى مِثْـلٍ ؛ أجابَـا [٥٧]
وأكْفِيهـا مَعاشِـرَ ، قَـد أرَتْهُـمْ ... منَ الجَرباءِ فَـوقَهُمُ ، طِبابَـا [٥٨]

---

(٥٠) عَرَضَ : أتى العُروض : مكة والمدينة ، وما حولهما .
(٥١) أن قولا في المجالس كالهجر : أن مدح الإنسان بحضوره كأنّه ذمٌّ له .
(٥٢) القهر: أسافل الحجاز، مما يلي نجدا من قبل الطائف . شعره : ٧٨ – ٧٩
(٥٣) أودى : هلك . الصدع : الفتق والفساد . (٥٤) الشنآن : البغض والحقد .
(٥٥) الحمالة : ما يعطى من مال في الدية . الاختلاب : الخديعة .
(٥٦) الحق عند العرب : ما يلزمهم من الحمالات وقري الأضياف . الأشياع : المتفرقون . ناب : جاء وأهمَّ . وقد اشتهر هذا البيت ، وبه سمي الشاعر ؛ (مُعوِّد الحُكماء) .
(٥٧) قُدامة وسُمير : ابنا سلمة الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعةَ ، وكانا شريفين .
(٥٨) الجرباء : السماء . الطباب : الخرز الذي في أسفل القِربة ؛ شبَّه به النجوم .

سَـــــأحملُهَا ، وتَعقِلُهَـــــا غَنِـــــيٌّ   وأُورِثُ مَجدَهَا - أبدا - كِلابَا [٥٩]

فَــإنْ أحمَــدْ بِهَــا نَفــسِي ، فَــإنِّي   أَتَيتُ بِهَــا - غَدَاتَئِــذٍ - صَــوابَا

بِحَمــــــدِ الله ، ثُمَّ عَطـــــاءِ قَومٍ   يَفُكُّـــــونَ الغَنائِمَ ، والرِّقَابَا [٦٠]

يتحدَّثُ عمَّا أصلحَ من أمر كعب لِيَذهبَ عنها ما اعتراها مــن تضعضع ، وكان قومُهُ قد رانَ عليهم اليأْسُ من ذلك ، لأنَّهم لم يُقدِّروا لذاك الفساد صلاحا . فقد افترقتْ كعبٌ وتقاطعت بعد أُلفــةٍ وتوحُّــد ، فصارت كأنَّها قبائلُ لم يكن يجمعُهَا أب واحد . ومن مواقفه الجليلة أنه تحمَّلَ ديَةَ القُرَشِيِّ ؛ من غير ظُلم لِولِيِّ القتيل ، ولا خديعةٍ لكعب . فإذا ما وقع ما يَلزم من واجبات كالحمالات وغيرها ، فينبغي أن يــصطَفَّ المختلفون من أجله ، وهذا درسٌ في توحيد العشيرة ، يقوم به ؛ لِيعتاده الحُكَّامُ ، فينسجوا على منواله . ويَذكرُ سَيِّدَين كريمين ــ من هذا الحي ــ فيمدحها لاشتهارهما بالقيام بأعمال البِرِّ والصلاح ــ هــذه ــ لكنَّــهُ مسرورٌ لِسبقه إيَّاهُما ، فهو يَكفي قبيلتَهُ ــ بهذه الفِعال ــ شُرورَ ما قــد تُلاقيه من المخاصمات ، فيتحملُ ما على غنيّ ــ مَثلا ــ من دِيَةٍ لِتكونَ شرفا له في كلاب وغيرها من القبائل . لذا فقد حُقَّ له الفخرُ ؛ لصواب رأيه وحُسن تدبيره . والحمدُ والشكرُ ــ أولا وآخرا ــ لله تعالى ، ثــم لما استمدَّهُ من فِطرةِ قومه النَّقيَّة ، وسَجاياهُم النَّبيلة . وعلى هذا الخُلُق المُوحِّد للقبيلة والقبائل العربية ، إذ تَشترِكُ فيه ، ويَعودُ أَثَرُهُ فيها جميعا يَقِفُ خِداشُ بنُ زُهير ، بِوجه أَفناء من العامريين ؛ مُنكرا هَضمَ مَولاه :

---

[٥٩] العَقل : أداء الدية . غني وكلاب : قبيلتان .

[٦٠] يفكُّون ؛ أسرَ أشعار العامريين الجاهليين :٣-٥٤ .

عَـدَوتُم علــى مَــولايَ ؛ تَهتَــضمُونَهُ بناحيةٍ منْ جانبِ الحَــيِّ ، تَرتَعــي
مَوالِي بَني عَمرٍو ، وأهــــــلَ أمانَةٍ وقُربى ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمُ قِيدَ إصْبَعِ [٦١]

فَمَولاه يكون تلقائيا ؛ مولى رهطه ، صُعودا إلى عموم القبيلة، وهذا التزامٌ أخلاقي ، وعُرف جاهلي ، لا يَحيدُ عنه إلاَّ مَــن انحــرفَ خُلُقه ، أو زلَّت به قدمه عن جادّةِ الصَّواب . لذلك نرى الشاعرَ يُدافعُ ــ بقُوَّةٍ ــ عن حَقِّ مَولاه في رعي أنعامه بِحُريَّةٍ وأمان ، وعلى الآخرين أن يلتزموا بما التزم به من عهد، مُراعينَ قَرابتَهُ ، صــائنين حُرمتَــهُ حافظين سمعتَهُ ، وإلاَّ فهو ، ومن ورائه رهطُهُ وقومُهُ وقبيلتُــهُ كلهــا؛ يقفون جميعا ضدّ المُعتدي ؛ أيًّا كان . وهذا السلوك القــويم ؛ يحفــظُ العلائقَ الطيِّبة فيما بين القبائل ، فلا تقومُ نائرةٌ بسبب اعتداءٍ من هذا أو خيانة من ذاك ، بل يبقى الاطمئنانُ والأمانُ ؛ شعورا واقعا للعربيِّ أينما حلَّ وكان ، ويبقى المجتمعُ بأسره مستقرّا ، لا يَخرِقُ استقرارَهُ تَوَجُّسُ نَزغٍ أو نَزَقٍ قد يَطرأُ من هذا أو ذاك . وهذا لَبيدٌ العــامريُّ ؛ يفخــرُ بوقوفه مع المظلوم ؛ مُدافعا عن مولاه :

ومَولىً ؛ قَدْ دَفَعــــــتُ الضَيمَ عَنهُ وقَدْ أمسَى بِمَنْــزِلَةِ المَضيمِ [٦٢]

فالعدالةُ والحقُّ ؛ هما الأُولى بالاعتبار والانتصار ، أما الظُّلْــمُ والظالمون ، فلا مناصَّ من نَفْيِهِ ودحرهم . وبذلك ينعمْ المجتمع بالأمن والأمان ، ويسودُ السَّلام .

ولكن قد يخرجُ من هؤلاء العامريين ، مَن يَخرجُ على العُرف المُتَّبع والتقاليد المتوارثة ، كما يَذكرُ أدهمُ بنُ حازمٍ الضَّبِّيُّ ، في خطابه لقبيلٍ من بني عامر ؛ مُوبِّخا :

---

[٦١] بنو عمرو : رهط الشاعر . شعره : ٨٥ .

[٦٢] المضيم : المركوب بالظلم .شرح ديوانه : ١٠٠

بَني عامرٍ ؛ صَـرَّمْتُمُ الحَبـلَ بَيننَـا | وبَيْـنكُمُ ، بَعـدَ المَـودَّةِ والقُـربِ
غَدَرتُمْ ولَمْ نَغدُرْ ، وقُمتُمْ ولَـمْ نَقُـمْ | إلى حَربنا ؛ لَمَّا قَعَدنَا عَـنِ الحَـربِ
وكُنَّا وأنـتُمْ ؛ مِثـلَ كَـفٍ وسـاعدٍ | فَصرْنا وأنتُمْ ، مثلَ شرقٍ إلى غـربِ
فَما نَسلُبُ القَتلى ، كمـا قَـدْ فَعَلـتُمُ | ولا نَمنَعُ الأسْرى، منَ الأكلِ والشُّربِ
وسَلْبُ ثِيابِ المَيـتِ ؛ عـارٌ ومَذَلَّـةٌ | ومَنعُ الأسيرِ الزَّادَ ؛ من أقبحِ الـسَّبِّ
بِذلكَ أوصانَا أبــــونَا ، ولَمْ نَكُنْ | لِنَترُكَ ما وصَّاه،في الخِصبِ والجَدبِ[٦٣]

نراه يُعنِّفُهُم ــ بمرارة ــ على قبيح ما اقترفوه ، من قَلبِ صالحِ العلاقة بين القبيلتين إلى سُوء وشرور ، إذ كانت المودَّةُ والحبُّ والألفةُ مَوصولةً بينهما ؛ بتقارب قلوبهما ، لكنَّ غدرا أفلـتَ الأمـورَ حتـى وصلتْ إلى الحرب ، مع أن الشاعر يُبرِئ قبيلته من الغدر والحـرب ، لأنها لم تَنسَ ما كانوا عليه من التعاون والتعاضد ؛ كمـا بـين الكـفِّ والساعد ، فأمسَوا مُتباعدينَ مُتنافرينَ كالشرق والغرب ، إذ عُكِسَ ذاك الاتِّفاقُ التَّامّ إلى تَضادٍّ سافر . لكن أولئك لم يَقفوا عند هذا الحدِّ ، بـل تجاوزوا كل الحدود ، فسلبوا القتلى ومنعوا الأسـرى مـن الـشراب والطعام ، وذلك في عُرف الجاهليين عارٌ قبيحٌ لا يُقبل بحال ، بـل لا يُسكتُ عليه ، وقد التزم به الشاعر وقبيلته امتثالا لوصاة أبيهم التـي لا يَحيدون عنها في أي ظرف . وكذا العرب جميعا ، إلاَّ أنـه يَبـدو أنَّ الشاعر ــ بسبب انفعاله ــ قد ضَخَّم الحَدَثَ وعَمَّ به قبيلةً لا يمكـن أن تفعل ما وُصمتْ به ، فبنو عامر لا يختلفون عن بني ضَبَّةَ أصالةَ نَسَب ولا يَقِلُّونَ عنهم اعتزازا بحَسَب ، وهم يمتثلون هذه القـيم الكريمـة ، والمبادئ السامية ؛ كغيرهم من قبائل العرب . ويَرسُـمُ سُـلمى بـن ربيعة بن زياد الضبي ؛ صُورةً لما كانتْ عليه مَسيرةُ حياته ومواقفـه

---

[٦٣] أشعار قبيلة ضبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين : ١١٢ .

وتصرفاته في عشيرته ؛ بما كان يَؤول إلى ترصين وحدتها وسلامتها وتَوَحُّدِها مع الآخَرين :

ونَقَدْ رَأَبْتُ ثَأَيَ العَشيرةِ بَينَها ... وكَفَيتُ جانِبَها اللُّتَيّا والَّتي [٦٤]

وصَفَحْتُ عَن ذي جَهلِها ورَفَدتُها ... نُصحِيْ ، ولَمْ تُصِبِ العَشيرةَ زَلَّتي [٦٥]

وكَفَيتُ مَوْلايَ الأَحَمَّ ؛ جَريرَتي ... وحَبَسْتُ سائمَتي ، على ذي الخَلَّةِ [٦٦]

فإذا ما طرأ فَسادٌ أو انفرجتْ ثُغرةٌ ، سارعَ إلى سَدِّها ، كافياً عشيرتَهُ ما يَدهَمُها من الأُمور العظيمة والحقيرة على السَّواء، وإذا نَبا جهلٌ من أحدهم : عفا عنه وغفَر ، ولا يتأخَّر عن نُصح أبنائها وإرشادهم إلى الخير ، في الوقت الذي يكون هو مُنضبطا مُتماسكا ؛ لا يصدر عنه زَلَلٌ أو خطأ ؛ تَتحمّلُ العشيرةُ أعباءَهما ، حتى أقرب الأقرباء والأصدقاء إليه ؛ لا يُكلِّفهم شيئا من تَبِعاته ، أمّا أموالُه من النَّعم فيقصُرَها لحاجات الفقراء والمعوزين . فأيُّ أثَرٍ إيجابي يتركه في عشيرته ؟ وإذا كثر أمثاله؛ فكيف يكون حال العشيرة ، والقبيلة والقبائل عموما ؟. أليس هو السلمُ الاجتماعيُّ الشامل ؟. ويقولُ شيخٌ من بني ضَبَّةَ ، لِبني تَميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ :

أبَنِي تَميمٍ إنَّني أنا عمُّكُمْ ... لا تُحرَمُنَّ نَصيحَةَ الأَعمامِ

إنِّي أرى سَبَبَ الفَناءِ ،وإنَّما ... سَبَبُ الفَناءِ؛ قَطيعَةُ الأَرحامِ

---

[٦٤] رأبت: أصلحت. الثأي: الفساد. اللُّتَيا: تصغير التي، جعلهما اسمين للكبيرة والصغيرة من الدواهي، ولهذا استغنى عن صلة الموصول . وهذا مَثَل للشدّة الكبيرة والصغيرة . ينظر: الأمثال ، الأصمعي :٥ – ٨٦ .

[٦٥] رفدته : أعطيته ، عدّاه لمفعولين ، وفي المعاجم يُعدّى لمفعول واحد .

[٦٦] الأحم : الأقرب . السائمة : الأموال التي ترعى . الخلة : الحاجة والفقر . أشعار قبيلة ضبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين : ١٥٥ .

فتداركوا ؛ بِـــــــابي وأمّـــــي أنتمُ   أرجحتمُ ؛ برواجح الأحلام [67]

فهذه نصيحةُ رجلٍ فاضل لهؤلاء ، وإنْ لم يكونوا من قبيلته إلاّ أنه يُريد إعمامَ الخير في المجتمع ، مؤكدا أهميةَ الرَّحم بل قدسيتها ، فهو يخاطبُ فيهم ألبابَهم وحُسنَ تفكيرهم ، وتفكرَهم بما يُصلحهم ، فلا افضلَ من صلة الرَّحم . وكما قال نبينُا الأعظم (ﷺ): **﴿ صِلَةُ الرَّحِمِ مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ ﴾** [68] . وصدق رسولُنا الأكرم (ﷺ). ورحم اللهُ الناصحين الذين لا يبغون إلاّ خيرَ الآخرَين من دون انتظـار جزاء معنوي ولا ثمن ماديٍّ ، فهؤلاء أنبلُ مصاديقَ للإيثـار ، وخدمةٌ الإنسانية جمعاء . فلا جرمَ أنّ كانوا ــ بفعالهم ــ دُعاةَ حقيقيين للسلام العام . وكان أوسُ بنُ حَجَر ؛ شاعرُ تميم، مُعجبا برئيس قبيلة أسـد ، وهو فَضالةُ بنُ كَلَدة ؛ رئيس قبيلة أسد ، وقد رثاه ؛ موبِّنا بما كان لـه من أثر فعّال في المسيرة الهادئة لحياة العشيرة :

وقَــــــوارصٍ بينَ العَشيرةِ ؛ تُتَّقى   داويْتَها ، وسَمَلْتَــــها بِسِمالِ [69]

فكان من الزعماء الأفذاذ الحكماء المحبوبين ، إذ كانت تـأتمرُ بأمره العشيرةُ كلُّها ؛ فيما يُشيرُ به ، ويُتابع مـن أُمورهـا ؛ صـغيرةً وكبيرة، حتى الكلمة المؤذية إنْ صدرتْ عن أحدهم ، كان يُسارع بِلملمةِ ما قد يحدث جرَّاءَها ؛ فيُصلحُ ما قد يَنشِبُ من خـلاف بيـن أفـراد القبيلة ، ويتداركُ الأمرَ قبل تَفاقُمه لِتَستَتِبَّ الحالُ، ويَسيرَ الركـبُ بـلا عَقَباتٍ أو مُنغِّصات . ويُتبعها بقصيدةٍ أُخرى؛ مُفصِّلا مآثرَهُ وأفـضالَهُ

---

(67) أشعار قبيلة ضبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين :268 .

(68) ينظر: سنن الترمذي ، 3/237 ، رقم الحديث 2045 .

(69) القوارص: جمع قارصة ، وهي الكلمة التي تؤذي فتسبب الخلاف. سَمَل بـين العشيرة: أصلح؛ أراد: أنه السيد المطاع. ديوانه:107 .

في العشيرة ، وصاحبة المنزلة التي لا يدانيه في جدارته بها ولا يباريه في اقتداره عليها الآخرون . فقد كان رَجُلَ الطُّمأنينة والاستقرار بحَقٍّ :

فرَّجْـتَ غمَّهُـمُ وكنـتَ غيـثَهُمُ حتَّى استقرَّتْ نواهُمْ ، بَعدَ تَـزوال [٧٠]
أبـا دُنَيْجَـةَ مَـنْ يَكفِـي العَـشيرةَ ، إذْ أمسَوا -منَ الأمْرِ- في لَبَسٍ، وبَلْبالٍ [٧١]
أمْ ؛ منْ لأهلِ لَوِيْ ، فـي مُسَكَّعَةٍ في أمرِهمْ ، خالَطُوا حَقًّـا بإبطـالِ [٧٢]

فقد كان يُفرِّجُ غَمَّ المغمومين ، ويكشفُ كربَ المكروبين ، ويُقِرُّ الجميعَ في مساكنهم حيثُ السّكينةُ والأمان . ويخاطبه بكنيته الحبيبـة ؛ فهو رجلُ المهمات الصعبة ؛ يتحمل المَشاقَّ لراحة الآخرين وإسعادهم، لذا فقد كان وجوده يَحُلُّ العُقَدَ والمشاكلَ ، فما كانـت ـ هنـاك ـ ملابساتٌ ولا إشكالات . وحتى عندما كانوا يقعون فـي محنـة أو إذا نابتْهُم مُصيبةٌ أو نكبة ؛ كان أهلاً لحلِّ المُعضلات، وتخفيف الشديدات ، لذا تفتقدُهُ الآن قبيلتُهُ كلُّها بعد رحيله ، فقد كان الطبيبَ الحـاذقَ الـذي يُوجِدُ دَواءَ كلِّ علَّة ، ويُلبِّي حاجةَ كلِّ إنسان . إذن كان فضالةُ أمـنَهُم وخيرَهُم ، وجامعَ قُلوبِهم، ومُوَحِّدَ صُفوفِهم ، ومُيَسِّرَ حياتِهم ، لِيَـشيعَ فيهم ؛ السلام ، ويَشعَّ على الآخرين .

ويُطالعُنا في بني سُلَيم ؛ مشهدٌ آخرُ يُصوِّرُهُ (بَطلُهُ) العبّاسُ بنُ مرداسٍ ، إذ يَبُثُّ أشجانَهُ، وقد أَسِيَ على قَطيعةِ الرَّحِمِ ، والـشَّحناءِ ؛ بين الأقربين :

---

[٧٠] تزوال : تشرد . [٧١] اللبس : الاختلاط . البلبال : الفوضى والارتباك .
[٧٢] اللوي: ما جَفَّ وذبل من الزرع. المسكعة : المضللة المودرة من المـصائب التي لا يهتدى فيها لوجه الأمـر ، حـين يخـتلط علـيهم الحـق والباطـل .
ديوانه: ١٠٤ .

أرانـــي كلمـــا قاربـــتُ قـــومي   نـــأوْا عنـــي ، وقطْعُهـــمُ شـــديدُ
سَدَدْتُ عتابَهُـــــمُ ، فصفحْتُ عنْهُمْ   وقلْتُ: لَعَلَّ حلْمَـــهمُ يعـــــودُ
فَـــإنّي لَـــوْ يُـــوَدِّبُنِي خُفـــافٌ   وعَـــوفٌ ، والقلـــوبُ لهـــا وقُـــودُ
وإنِّــــي لا أزالُ ؛ أريـــــدُ خَيرا   وعِندَ اللهِ ـ مِنْ نعَمٍ ـ مَزيـدُ [٧٣]

طَرفا الموضوع ـ هنا ـ الشاعرُ وقومُه ، فقد ذكَـرَ نفسَهُ بالضمير الظاهر والمُستتر أحَدَ عشَرَ مَرَّةً ، وذكَـرَ قومَـهُ تـصريحا وإضمارا بما لا يَقلُّ عن ستّ مَرَّاتٍ ، ثمّ خَصَّصَ ـ منهم ـ خُفافـا وعَوفا. أمّا الموضوع فهو ؛ النائرة التي حلَّتْ بينهم . كأنّهم نَفَروا منه وقطعوا حبالَ الوُدِّ والصَفاء معه ، بلا أسباب موضوعية مقبولة، حتى ملَّ منطقهم ـ هذا ـ ومع ذلك عفا عما اقترفوه بحقّه ؛ مُتأمِّلا تفكُّرَهُمْ ومُراجعةَ عقولهم؛ لتجاوز هذه الأزمة . ثم يذكر خُفافَ بنَ نُدْبَـةَ ، وشخصا آخر، راضيا منهما مُعقابته على إساءةٍ ـ ربمـا ـ صـدرتْ عنه ـ بقَصد أم بغيرِ قَصد ـ من أجل أنْ تبْـرُدَ الـصُّدورُ ، وتبْـرأَ القلوبُ وتهدأَ النفوسُ ؛ إذ هو ـ من جانبه ـ لا يبتغي إلاّ الخيرَ لهـم جميعا ، ومن الله البركة والهداية والتوفيق .

بهذا المسار الحكيم ؛ لا يَبقى ما يُعكِّـرُ العلائـقَ الاجتماعيـة الطبيعية ؛ فتُمحى أيَّةُ شائبةٍ عَلقتْ عَرَضا ويَسلمَ الجميعُ من هذه العَلاقة السَّخيمة ، فيَعتَنِقُوا ويتَحابُّوا ؛ ليَعودَ التَّفاهُم ـ بَيْنَهُم ـ ناسجا خُيُـوطَ الإنْسجامِ والوئامِ ، وليَسْتَنْشِقُوا ـ من جَديد ـ أنسامَ السَّلام الزكية .

قال أبو عُبَيدَةَ : وقفَ أُمَيَّةُ بنُ الأَسْكَرِ اللَّيثيّ ، على ابنِ عَمٍّ له في الجاهلية ؛ فقال له :

---

[٧٣] ديوانه : ٤٢ .

نَشَدْتُكَ بالبيتِ الَّذي طَافَ حَوْلَهُ   رجالٌ بَنَوهُ منْ لُؤَيِّ بنِ غالبِ
فَإنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَني ؛ هَلْ عَلِمْتَني   أُعينُكَ في الجُلَّى،وأَكْفيكَ جانبي؟ (٧٤)

فقال أَجَلْ . قال : فما بالُ مِئبَرٍ ؛ لا يزالُ رَسيساً منْكَ ؟ فقال : لَن أَعُودَ . قال أبو عُبيدة : المِئبر : النَّزَغ ، من قولهم : أَبَرَتْهُ العقربُ ، إذا ضَرَبَتْهُ بإبْرَتها. وجمعُه : مآبِر : نَمائم (٧٥) . وهكذا ؛ أبعدَ ــ هذا الرجلُ ــ النَّميمةَ ، ورَفَعَ الشبهةَ ، وأَطفأَ الفتنةَ في مهدها ؛ بحُسنِ سُلوكهِ ، ولُطفِ أُسلوبِهِ ، وسُرعةِ مُبادرته ، لِقطعِ الطَّريق على الإحَنِ والضَّغائن ، أَنْ تَشوبَ سَلامةَ حياتهم ، أو أن تَحرِفَها عن طبيعتها الرَّشيدة . وفي رثاءِ النَّمرِ بنِ تَولَبٍ العُكْلِيِّ ، لأخيهِ الحارثِ ، ذكر أنَّه كانَ ضمانةَ عَدَمِ نُزُول داءٍ ، أو فسادٍ في عشيرتهم ، أمَّا اليوم فقد حَمَلَتْهُ أَكُفُّ أبنائها إلى مَثواهُ الأَخير :

تَضَمَّنْتَ أدواءَ العَشيرةِ ؛ بَيْنَها   وأنتَ على أعوادِ نَعْشٍ مُقَلَّبِ (٧٦)

فقد كانَ يَحملُ ما يَقعُ من دياتٍ ؛ لِيُصلحَ بينهم . وما المانعُ أنْ يُؤتَسَى به ويَستمرَّ الإصلاحُ، ويَبقى صلاحُهُمْ ؟ بل يُحافظون على سلمهم ؛ بمنعِ ما يَخِلُّ بهِ أَصلا . كانَ أبو قيس صرمةُ بن أبي أَنَس ((قوَّالا للحَقِّ ، مُعَظِّما للّهِ ﷻ)) (٧٧) . لذا كانَ فيه شُعورٌ بالمسؤولية عظيم ، إذْ يُوصي أَهْلَهُ والآخَرين ، وهو يَجُودُ بِرُوحه ، مُطلِقا آخرَ دَعَواتِ الخير والإيثار ، لِيَضمَنَ استمرارَ سلمِ المجتمع ؛ مِن بَعدهِ :

---

(٧٤) الحماسة الشجرية ، ١/٢٦٢ .

(٧٥) الرسيس : خبرٌ لم يَصِحَّ ، وابتداء الحُمَّى . نَزَغه : طَعَن فيه واغتابه ، ورجلٌ مِنْزَغ : يَنْزَغُ الناسَ .

(٧٦) تضمنتَ : أصلحتَ . شعره :٤٢.

(٧٧) السيرة النبوية ، ١/٥١٠ .

يقُولُ أبُو قَيْسٍ ، وأصْبَحَ غاديا … ألا ما استطعْتُمْ من وَصاتِيَ ؛ فافعلوا
فأوصيكمُ باللهِ والبِرِّ والتُّقى … وأعراضِكُمْ ، والبِرُّ باللهِ ؛ أوَّلُ
وإنْ نَزَلَتْ إحْدَى الدَّواهِي بِقومكمْ … فأنْفُسكُمْ دُونَ العَشِيرَةِ ؛ فاجْعَلُوا [٧٨]

فقد كان على نورٍ من الحَنيفيَّة الغرَّاء، وهو في أكثر لحظات حياته إخلاصا لله تعالى ــ أوَّلاً ــ ثُمَّ لأهله وذوي رحمه ، وللقِيَم والمُثُل الدينية / الإنسانية العليا التي آمن بها ، قد أفرغها في قالبٍ شِعريٍّ وَجيز ، مُبَسَّط واضح الدَّلالة ، عميق المعنى والأثر . إذ يَطْلُبُ منهم أن يُنفِّذُوا ما يمكنهم تنفيذُهُ من وصيَّتِهِ، أو كلَّما أمكنهم ذلك ؛ بحسب ظروفهم الذاتية والموضوعية . وعلى رأس تلك الأولويَّات طاعةُ الله سبحانه ؛ لأنها الأصلُ لكل خير وصلاح ، وما بعدها كلُّها مَبادئُ للرِّفعة والسُّمُوّ بالنَّفس الإنسانيّة إلى الذُّرى. ثم يُؤكِّدُ إيثارَ كيانِ القبيلة ، ومصلحتها ؛ على ما دُونها من كيانات ومصالح ؛ لأنَّها تُمثِّلهم جميعا، ووحدتها عزٌّ لكلِّ أفرادها ، وتماسكها تماسك لمن يَنضوي تحت لوائها وفي ذلك كلِّه يَتحقَّقُ سِلمُ عموم المجتمع . وهكذا نرى تَعدُّدَ أوجه التَّصرُّفات ، والمواقف الإنسانية الهادفة إلى سبيل الرَّشاد .. لكن في المحصلة النهائية ؛ نجد أنَّ الغاية كانت ــ دائما ــ خيرَ الإنسان واطمئنانه في حياته وعلاقاته ، ومِن ثَمَّ شعورَهُ بالأمان والاستقرار والتَّنعُّم بِراحة البال ، وأنْ يَعيش كريما مُتسالما مع الآخرين ، سعيدا .

وإنْ عَنَّتْ بعضُ الأُمور التي قد تُزري بأمانهم وسلمهم ، أو رُبَّما خِيفَ من نَتائجَ وعَواقبَ غير مأمونة .. حينها يَنبري ذَوُو ألبابهم وحكماؤهم من الأعيان والكُبَراء ، على مستوى الأسرة ، أم على

---

(٧٨) الشعراء الحُنَفاء ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

المستويات الأعلى ؛ لرفع أي مصدر قد يُذكي نارَ الفُرقة أو ينكأ بلُحمتهم ، أو يُرهِصُ ببَلبلة ؛ تُوقعُ عداوة واضطرابا بين الأهل والأرحام . فيَجهدُ المصلحون يُؤازهم الخيِّرون لرأب الصَّدع وتسوية الأمر ، كلٌّ من موقعه ، وبِحَسَب قُدرته وسلطانه ، ودرجة تأثيره ، ومستوى مسؤوليته الاجتماعية .. وذاك طبيعيٌّ في أي مجتمع ، إذ لا يَسلمُ من خطأ أو زَلَل من شخص أو أشخاص ، أو جَور واعتداء منه هنا وهناك .. لكن المهم أنَّ ذلك لا يُقَرُّ ، ولا يُترك حتى يُعدَّلَ ؛ على أساس حقوق الأفراد التي سَنّتْها أعرافُ القبائل وتقاليد المجتمع .. صيانةً لأمان الناس وأمنهم ، ومُراعاةً للعلائق الحسنةِ ، والوشائح الطيبة ؛ لِيَحيا الجميعُ في اطمئنانٍ ، بِحِمى سلامٍ مُبين .

والمنافرةُ بابٌ مهم في حياة المجتمع الجاهلي ؛ وهي المفاخرةُ بين شخصين ، أو فئتين ؛ بأهليَّة وأحقيَّة كلٍّ منهما ؛ بأمرٍ مُعيَّنٍ ؛ والاحتكام فيه إلى حَكَمٍ ؛ لِيُنَفِّرَ بينهما ، أو يُغلِّبَ أحدَهما ، ليفوز على الآخر في القضية المعنية ، ومن أشهر المنافرات التي وقعت قُبيل الإسلام ، كانت مُنافرةُ عَلْقَمةَ بنِ عُلاثَةَ وعامرِ بنِ الطُفَيل ؛ اللَّذَين تنافسا على زعامة عشيرتهما ، وقد وقف حينها بعضُ الشعراء في صَفِّ علقمة، وبعضهم الآخر في صَفِّ عامر ومن ذلك الجدل المُحتَدِم كان النابغةُ الذُّبيانيّ قد رَدَّ على هجاء زُرعةَ العامريِّ ؛ لبعض الأَسَدِيِّين، فردَّ عليه عامرُبن الطفيل ؛ مُفتخرا:

فإنَّ ـ لنا ـ حُكُومَـةَ كُـلِّ يَـومٍ يُبَـيِّنُ فـي مَفاصِـلِهِ الـصَّوابُ [٧٩]
وإنِّي سَـوفَ أَحْكُـمُ غَيـرَ عـادٍ ولا قَـذِعٍ ؛ إذا الْـتُمِسَ الجَـوابُ [٨٠]
حُكُومَةَ حـازِمٍ ، لا عَيـبَ فيهَـا إذا مَـا القَـومُ كَظَّهُـمُ الخطـابُ [٨١]
فإنَّ مَطِيَّةَ الحِلْـمِ ؛ التَّأنِّـي على مَهَـلٍ ، ولِلجَهْلِ الشَّبـابُ [٨٢]

وهذا كلامٌ مُعتدلٌ رشيد ـ في خِضَمِّ تلك السَّورة ـ إذ يقول أنَّ لهم من السيادة والحكمة ما يجعلهم يَحكمون فيما يقعُ مـن خـصومات ويقطعون بها بقرارات مناسبة . لذا فهو على استعداد للحكم ـ في هذه القضية أيضا ـ من دون أن يجور بحُكمه ولا أن تصدرَ عنـه كلمـةٌ نابية. فحُكمه من القُوَّة والسَّداد والحسم، ما يعلو على ما يتراشـق بـه الآخرون ؛ من كلمات صادرة عن غيظ وتحاسد، لأنه حليم لا يتهـور ولا يحكم عن انفعال ؛ بل عن تَرَوٍّ وتَفَكُّر من دون أن يَنـدفع انـدفاعَ الشباب وحُمقَهم .ويَرُدُّ النابغةُ على عامرٍ ؛ داعيا إيَّـاه إلـى الكِياسـة والنُّهى:

فـإنْ يَـكُ عـامرٌ قَـدْ قـالَ جَهْـلا فإنَّ مَظِنَّـةَ الجَهْـلِ ؛ الـشَّبَابُ [٨٣]
فكُـنْ كَأبيـكَ ، أو كَـأبي بَـراءٍ تُوافِقْكَ الحُكومَـةُ ، والـصَّوابُ [٨٤]
ولا تَذْهَبْ بِعَقْـولِكَ ؛ طامِياتٌ مِنَ الخُيَلاءِ ؛ لَيـسَ لَهُنَّ بابُ [٨٥]

---

[٧٩] مفاصله : ما يُفصل من الخصومات .

[٨٠] عادٍ : اسم فاعل من عدا عليه : اعتدى . القذع : الذي يرمي بالفُحش ، وسوء القول ، القَذَع : الكلام القبيح .

[٨١] كظهم : غَلَبَهم ، وملأهم غيظا . الخطاب : المخاطبة .

[٨٢] المطية : كلُ ما رُكِبَ ظَهرُه . وهذا الشطر صار مثلا . ديوانه :٢٠ – ٢١ .

[٨٣] مظنة : محل الظن .

[٨٤] أبو براء ؛ عامر بن مالك ، الملقب بمُلاعب الأسنَّة .

[٨٥] طاميات : مرتفعات . من الخيلاء ؛ بيان لطاميات ، أي : خيلاء شديدة. ليس لهن باب : لا مَخلص له منهن . ديوانه :٥٧ .

يُعارضُ الشاعرُ قصيدةَ صاحبه بالوزن والقافية نفسيهما ، ويكادُ يَسلُكُ أُسلوبَهُ ويَختَطُّ ألفاظه ــ ذاتَها ــ لما عُرِفَ عن النابغة من براعة في التَّصرُّفِ تَعضُدُها قُوَّةُ شاعرية وتَمكُّن .. فالجهل الذي بَـرِئ منـه عامرٌ؛ يَصِمُهُ النابغةُ به ــ بِعَدِّ نفسه أسَنَّ منه ــ مُعَرِّضا بِطَيشه ونَزَقه. ثمَّ يَضربُهُ في الصَّميم؛ عندما يرجو له أن يكون كأبيه أو عَمِّه ؛ اللَّذَين كانا يَحكُمانِ صوابا ؛ فلا يستطيع عامرٌ أن يُنكِرَ ما كانا عليه فعلا ! ثم يَطلُبُ منه أن يُخَفِّفَ من غَلوائه ، واعتداده بنفسه الزائد عن حَدِّ المعقول والمقبول ، إذ جعله في مأزِق لا مَخرجَ له منه . ويَدخُلُ الأَعشى ؛ حَلَبةَ التَّحكيم ، في هذه المواجهة الحامية :

حَكَّمتُمُــــوني ؛ فَقَــضى بَيـــنَكُمْ	**أَبْلَــجُ ، مِثـلُ القَمَـرِ البـاهِرِ** [٨٦]
لا يَأْخُــذُ الرُّشْـوَةَ ، فـي حُكْمِـه	**ولا يُبـالي ؛ غَـبَنَ الخاسِـرِ** [٨٧]
أُوَوِّلُ الحُكْــمَ ؛ علـى وَجْهِـه	**لَيسَ قَضائي ؛ بـالهَوى الجـائِرِ** [٨٨]
قَـدْ قُلـتُ قَـولا فَقَـضى بَيـنَكُمْ	**واعتَــرَفَ المَنفُــورُ ؛ للنــافِرِ** [٨٩]
كَمْ قَدْ مَضَى شِعْــرِيَ ، في مِثلِه	**فَســـارَ لِي مِنْ مَنْطِقٍ سائِرِ** [٩٠]

تَدُورُ مَعانيه على تأهُّلِه وصَلاحِه للتحكيم ، ونزاهته وجُرأته في قول الحقِّ واتخاذ القرار الصائب المناسب ، الذي لا بُدَّ من أن يعترفَ به الطرفان ، ويَسيرَ في الناس باستحسان . وقد كان حَكَمَ ؛ بِغَلَبة عامر بن الطُّفيل على صاحبه . ولكن لم يكن شعرُ الشعراء ؛ بالحكم النافذ ،

---

[٨٦] أبلج: واضح ، مُشرق الوجه . الباهر : الذي يبهر النجوم ، فيقطع ضوءها .

[٨٧] الغبن : النقص .

[٨٨] أوَّلَ الحكم على وجهه : رَدَّهُ على وجوهه وجعله يرجع إلى الصواب . الجائر: المنحرف عن الحقِّ والصواب .

[٨٩] المنفور: المغلوب في المنافرة . النافر : الغالب فيها .

[٩٠] منطق سائر : مشهور ، ذهب بين الناس وسار . ديوانه :١٤١-١٤٣ .

أو المُلزم للمُتخاصِمين ، فكلُّ واحدٍ منهم ، يُمكنُ أن يُدليَ بِدَلوه ، مُعبِّرا عن رأيِه ومَيلِه ، بِحسابات ذاتيــة نفـسية ، وموضــوعية ظرفيــة ، وعشائرية مختلفة . أمَّا الحُكمُ الفاصل الذي يَتَّبِعُهُ المَعنيُّون وذَوُوهــم ، فيعودُ إلى الحُكَّام ؛ وهؤلاء لهـم شُــروطُهم وأحكــامهم ، وشــهرتهم ومكانتهم في قبائل العرب .. وقد احتكم علقمةُ وعامرٌ في منافرتهمــا، إلى رجل من هؤلاء الحُكّام، يُقال له خُزَيمةُ بنُ عَمرِو بنِ الرَّجيد ، ثُــمَّ إلى أبي سُفيانَ بنِ حَرْب ، ثم إلى أبي جَهْلِ بنِ هشام بــنِ المُغيــرة ، وكلُّهم يَتحرَّجُ مِنَ الحُكم ، فلا يَقولُ فيهما شيئا ، إلى أن صارَ الأمرُ إلى هَرِمِ بنِ قُطبةَ بنِ سِنان بنِ عَمرِو الفَزاريِّ ، فاحتالَ للأمر ، واستدعى كلا من الخَصمين على حدِة، فكان يُصَوِّرُ لكــلٍّ منهمــا أنَّ خَــصمَهُ ، أفضلُ منه ، فيَتخيَّلُ أحدُهما أنَّهُ سَيُفضِّلُ صاحبَهُ ، ويَرجوهُ ألاَّ يفعــل ، وأن يكتفيَ بالتسوية بينهما. فلما كان يومُ الحُكم ؛ قام هَــرِمٌ ، فَــسَوَّى بينهما ، قائلا: ((أنتما كَرُكبَتَي البَعيرِ الأدرم [٩١] ، يَقعانِ إلــى الأرض مَعا . ولَيسَ منكُمَا واحدٌ إلاَّ وفيهِ ما لَيس في صاحبه ، وكِلاكُمَــا سَــيِّدٌ كَريم)) [٩٢] . وقد قال الشاعرُ في هَرِم هذا :

قَــضى هَــرِمٌ يَــومَ المُرَيْــرَةِ بَيــنَهُمْ قَضاءَ امرِئٍ بالأوَّلِيَّةِ ؛ عــالِمِ [٩٣]
قَضى ، ثُمَّ ولَّى الحُكْمَ ؛ مَنْ كانَ أهْلَهُ ولَيسَ ذُنابى الرِّيشِ ، مِثلَ القَوادِمِ[٩٤]

---

[٩١] الأدرم : الفحل .

[٩٢] ينظر: السيرة النبوية ، ١٩٣/٣ . والأغاني ، ١٥/ ٢٨٣ . وخزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب، ١٢٧/١ .

[٩٣] الأولية : مفاخر الآباء .

[٩٤] ذنابى الريش : ريشات أربع في جناح الطائر ، بعد الخوافي . القوادم : ريشات أربع قبل الخوافي . البيان والتبيين : ١٠٩/١ .

يُشيدُ به ويُكبِرُ طَريقتَهُ في الحكم التي أنتَجتْ التَّسوية ، وقد رضي كلا المتنافرين بها . وما كراهةُ الحكام أن يَحكموا بينهما ، واحتيالُ الأخير في حُكمه ، إلاَّ كونَهُمَا ابنا عَمٍّ ؛ فلم يُريدوا بَذرَ الشِّقاق والخلاف ، في الحيِّ الواحد من العرب ، وكانوا يُحافظون ــ ما وَسِعَهُم ــ على وحدة العشائر والقبائل عموما ، بِعَدِّها أعمدةَ كيانِ المجتمع العربيّ ، ولا سيما الوحدات الأصغر التي تُشكِّلُ اللَّبِناتِ الأساسيةَ لهذا الكيان . ولما كان هيكلُ المجتمع يَبدأُ من العائلة والأُسرة، صعودا إلى الكيان الشامل للعرب، فكذلك أَمنُهُ ؛ يَبدأُ من أصغر وحدة فيه ، صعودا إلى أمن المجتمع العام؛ بِتَوَفُّرِ كلِّ مُستلزماته وشرائطه .. ومن ثَمَّ يَتحقَّقُ سِلمُ المجتمع كلِّه .وبعد هذه الدَّورة من الجِدال والحِجاج والتَّراجع .. كَرِهَ كلٌّ من بني مالك ، وبني الأحوص بن جعفر بن كلاب؛ ما كان بينهما جرَّاءَ المنافرةِ بين علقمةَ بنِ عُلاثةَ ، وعامر الطُّفيل !. وفي ذلك يقولُ عَبدُ عمرو بنِ شُرَيحٍ بنِ الأحوص :

نَحَى اللهُ وَفْدَيْنَا وما ارْتَحَلاَ بِهِ ... منَ السَّوءَةِ الباقي ــ عَلَيْهِمْ ــ وَبَالُهَا
ألاَ إنَّمَا يُرْدَيْ صِفَاقٍ مَتِينَةٍ ... أَبَى الضَّيْمَ ؛ أَعلاَهَا ، وأُثْبِتَ حَالُهَا [٩٥]

يُشيرُ إلى ارتحال البطنين ؛ بني مالك وبني الأحوص، إلى حُكَّام العرب ؛ لِيَحكموا بين عامر وعلقمة . ويُمَثِّلُ لوحدتهما ــ في الأصل ــ بِثَوبَين ملبوسين أحدهما على الآخر [٩٦]، وقد التَصقَا بإحكام؛ حتى كأنَّهما ثوبٌ واحد ، لكنَّ هذه الفتنةَ ؛ فصلتْهما ــ ظاهرا ــ بُرهةً من الزمن ؛ بسبب ما أخذهما من مُكابرةٍ وعناد ، إذ لم يَقبلْ أيٌّ منهما

---

[٩٥] أشعار العامريين الجاهليين ، ص٨٥ .

[٩٦] ينظر : المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ص ٢٨٥ .

التنازلَ للآخر عن السِّيادة ، لكنهما سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه؛ من وحدة قديمة . وبذلك نجد منافراتهم تنتهي بالسلام ؛ فهو المبدأ والمآل في كل وقت وحال، وكما قيل في أمثالهم :**[مَعَ الخَواطِئِ ؛ سَهْمٌ صائبٌ]**(٩٧)، فلا بُدَّ من أن يَثُوبَ العاقلُ إلى الرُّشد، مهما انحرف عن المسار القويم لحياة المَجتمع ، وإذا لم يَرْعَوِ هو ؛ فهناك حتما ــ في أُسرته أو قبيلته ــ عُقَلاءُ يَتصدَّون للخَطَلِ ؛ حفاظا على وحدتهم ومصالحهم العليا. وفي النتيجة يَؤوبُ المارِقُ إلى مجتمعه وإلى السلم ؛ عاجلا أم آجلا . وهكذا تؤكدُ القبيلةُ ونظامُها ، والرَّحِمُ وآثارُهَا ؛ تَوقَ الإنسان العارمَ ، وحَنينَهُ الأزَليّ ، إلى المِهادِ الفِطْري ؛ لحياته الطبيعية ــ كما أراد له تعالى ــ أن يَعْمُرَ الأرضَ ؛ بتعايُشِه ــ أولا ــ مع أبناء جِلدَتهِ؛ مُتَحابًا مُتآلفا مُتعاونا مُتعاضدا ، من أجلِ خَيرِ الجميع ، ثم من خلال ما يَنشأُ من عَلاقاتٍ وأعرافٍ قَبليةٍ واجتماعيةٍ مُتَشابكة ، تَتكاملُ بها مَساعيهم ، وتتنامى مُمارساتُهم فيها ؛ فتَتكوَّنُ الخبراتُ ويَنشَطُ العملُ ويَتواصلُ ؛ لتَطمينِ حاجاتِهم الإنسانية ، ومصالحهم المتبادَلة ، فيتواضعوا على كُلِّ ما يَهُمُّهُم من تَفاصيلِ حَياتِهمُ اليومية ، فيكونُ الوِفاقُ الذي يُثمرُ علائقَ إنسانيةً صافيةً مُتَشاركةً مُتساندةً مُتَسامحةً ، لتَزْهرَ حياتُهم؛ هَناءً ورَغَداً وسَعادةً ، قويمةً سليمةً معافاةً ، حتى تتعمَّقَ أُسُسُ السلام ، وتَتَمَتَّنَ قاعدتُهُ ، وتَزدادَ اتساعا ويَتَرَسَّخَ بناؤهُ ، ويَشْمُخَ صَرْحُهُ ، لِيَدُومَ ويَبقى ــ أبدا ــ سلاما عَتيدا ؛ لا يَحيدُونَ منه ، ولايَحيدُ . فَبالسِّلمِ التّامّ ــ الذي تَصنعُهُ القَبيلة ــ تَتحقَّقُ خِلافَةُ الإنسان .

---

(٩٧) مختار الصحاح ، ص١٨٠ .

المصادر :-

- القرآن الكريم .
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، جزآن : الخالديان أبو بكر محمد ت ٣٨٠ هـ وأبو عثمان سعيد ت ٣٩١ هـ ابنا هاشم ، حققه وعلق عليه د. السيد محمد يوسف ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- أشعار العامريين الجاهليين ، جمعها ووثقها وقدم لها د. عبد الكريم إبراهيم يعقوب ، دار الحوار ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٢ .
- أشعار قبيلة ضَبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين ، عبد اللطيف حمودي كاظم الطائي أطروحة دكتوراه ، آداب الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥ .
- الأصمعيّات : اختيار الأصمعيّ أبي سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ت ٢١٦ هـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف، مصر ، ص٤ ، ١٩٧٦ .
- الأغاني : خمسة وعشرون جزءا : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القُرَشيّ الأمويّ الأصفهانيّ ت ٣٥٦ هـ ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد الأمير علي مهنا والأستاذ سمير جابر ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- الأمثال : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي ت ٢١٦ هـ جمع نصوصه وحققها وقدّم لها د. محمد جبار المعيبد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط ، ٢٠٠٠.
- البيان والتبيين : أربعة أجزاء : أبو عثمان عمرو بنُ بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ومكتبة الهلال ، بيروت، والمكتب العربي ، الكويت، ط٣، ١٩٦٨.
- الحماسة الشجرية : قسمان : تأليف ابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ت ٥٤٢هـ تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد السورية ، ١٩٧٠ .
- خزانة الأدب ولبُّ لُباب لسان العرب: ثلاثة عشر جزءا : تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٩٣ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارو ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٣ ، ١٩٨٩ .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس : شرح وتعليق د. محمد محمد حسين،الناشر مكتبة الآداب ، الجماميز ، مط النموذجية ، الحلمية الجديدة ، ١٩٥٠ .
- ديوان أوس بن حَجَر : تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ، دار صادر- دار بيروت ، ١٩٦٠ .

- ديوان بني بكر في الجاهلية : جمع وشرح وتوثيق ودراسة د. عبد العزيز نبوي ،دار الزهراء للنشر ، مط المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩ .
- ديوان الحُطَيأة : رواية وشرح يعقوب بن اسحق بن السِّكِّيت ت ٢٤٦ هـ ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، الناشر مكتبة الخانجي ، مط المدني ، القاهرة ط١ ، ١٩٨٧.
- ديوان شعر الحادرة : حققه وعلق عليه د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٠ .
- ديوان طَرَفة بن العبد : شرح الأعلم الشَّنتمري ت ٤٧٦ هـ ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصَّقَّال ، مط دار الكتاب ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- ديوان عامر بن الطُّفَيل : رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس ثعلب ت ٢٩١هـ ، كرم البستاني ، دار صادر ــ دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .
- ديوان العباس بن مرداس السُّلَمي : جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٨ .
- ديوان عَبيد بن الأبرص : تحقيق وشرح د. حسين نصّار ، شركة مكتبة ومط مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٧ .
- ديوان عَدي بن زيد العبادي : حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ديوان عُروة بن الوَرد : شرح يعقوب بن إسحق بن السِّكِّيت ت ٢٤٤ هـ ، حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي ، مط وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، ١٩٦٦ .
- ديوان النابغة الذُّبياني : جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٦ .
- سنن الترمذي : خمسة أجزاء : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣.
- السيرة النبوية :أربعة مجلدات : عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ مع شرح أبي ذر الخشني حققه وعلق عليه د. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- شاعر فارس أُفنون التغلبي : د. عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، ع٢٠ ، ١٩٧٦ .
- شرح أشعار الهُذَليين: ثلاثة أجزاء : صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّريّ ت ٢٧٥ هـ ، حققه عبد الستار أحمد فرّاج ،راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، مط المدني ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- شرح ديوانُ لَبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم له د. إحسان عباس ،مط حكومة الكويت ، ١٩٦٢
- الشعراء الحنفاء : د. أحمد جمال العُمري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١ .
- شعر خِداش بن زهير العامري : صنعة د. يحيى الجبوري ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دار الفكر للطباعة ، دمشق ، ١٩٨٦ .
- شعر الرَّبيع بن زياد العبسي : جمع وتحقيق د. عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ١ ، ع١٤ ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ .
- شعر عَمرو بن شأس الأسديّ : د. يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط٢، ١٩٨٣ .
- الشعر في حرب داحس والغبراء : د. عادل جاسم البياتي ، مط الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ . يتضمنه شعر قيس بن زهير .
- شعر النَّمِر بن تَولَب : صنعة د. نوري حمودي القيسي ،مط المعارف ، بغداد، ١٩٦٩ .
- قبيلة عَبْس أشعارها وأخبارها في الجاهلية : خالد ناجي حمد السامرائي ، رسالة ماجستير ، آداب الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٣ .
- قصائد نادرة من كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب " : قسمان :محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي ت ٥٨٩ هـ ،القسم الثاني تحقيق د. يحيى الجبوري ،مجلة المورد البغدادية مجلد ٩ ، ع١ ، ١٩٨٠ .
- مجالس العلماء :أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي ت ٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،وزارة الإرشاد والأنباء ، مط حكومة الكويت، ١٩٦٢ .
- مُختار الصِّحاح : تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦ هـ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧ .
- المُفضليّات : المُفضل بن محمد بن يَعلى الضَّبي الكوفي ت ١٧٨هـ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ١٩٧٦ .
- المُنجد في اللغة والأدب والعلوم : لويس معلوف اليسوعي، مط الكاثوليكية ، بيروت ط١٩ ، ١٩٦٦ .
- نهج البلاغة : أربعة أجزاء : من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، اختيار الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى ت ٤٠٦ هـ ، شرح الشيخ محمد عبده ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، د. ت .
- الوحشيّات وهو الحماسة الصغرى : أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١ هـ، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٠ .